۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

(لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ)

يخبر تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول أى:- يبغض ذلك و يمقته و يعاقب عليه

و يشمل ذلك جميع الأقوال السيئة التى تسوء و تحزن ك:-الشتم و القذف و السب و نحو ذلك

فإن ذلك كله من المنهي عنه الذى يبغضه الله.

و يدل مفهومها :-أنه يحب الحسن من القول كالذكر و الكلام الطيب الليو149

(إِلَّا مَن ظُلِمَ)أى:فإنه يجوز له أن يدعو على من ظلمه و يتشكى منه و يجهر بالسوء لمن جهر له به

من غير أن :-1-يكذب عليه 2-و لا يزيد على مظلمته 3-و لا يتعدى بشتمه غير ظالمه

و مع ذلك فعفوه و عدم مقابلته أولى كقوله(وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ) الشورى: ٤٠

*مسلم (2587) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:-

«الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»

معناه أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثاني قدر الانتصار فيقول للبادئ أكثر مما قال له

*شرح السيوطى على مسلم:المستبان مَا قَالَا فعلى البادئ مَا لم يعْتد الْمَظْلُوم مَعْنَاهُ أَن إِثْم السباب الْوَاقِع بَين اثْنَيْنِ مُخْتَصّ بالبادئ مِنْهُمَا إِلَّا أَن يتَجَاوَز الثَّانِي قدر الِانْتِصَار فَيَقُول للبادئ أَكثر مِمَّا قَالَ لَهُ وَلَا يجوز للمسبوب أَن ينتصر إِلَّا بِمثل مَا سبه مَا ل يكن كذبا أَو قذفا أَو سبا لأسلافه فَإِذا انتصر استوفي ظلامته وبرئ الأول من حقه وَبَقِي عَلَيْهِ إِثْم الِابْتِدَاء وَالْإِثْم الْمُسْتَحق لله وَقيل يرفع عَنهُ جَمِيع الْإِثْم بالانتصار مِنْهُ وَيكون معنى على البادئ أَي عَلَيْهِ اللوم والذم لَا الْإِثْم

-شرح النووي على مسلم :-وَاعْلَمْ أَنَّ سِبَابَ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ حَرَامٌ كَمَا قَالَ ﷺ سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَلَا يَجُوزُ لِلْمَسْبُوبِ أَنْ يَنْتَصِرَ إِلَّا بِمِثْلِ ما سبه مالم يَكُنْ كَذِبًا أَوْ قَذْفًا أَوْ سَبًّا لِأَسْلَافِهِ فَمِنْ صُوَرِ الْمُبَاحِ أَنْ يَنْتَصِرَ بِيَا ظَالِمُ يَا أَحْمَقُ أَوْ جَافِي أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يَنْفَكُّ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ قَالُوا وَإِذَا انْتَصَرَ الْمَسْبُوبُ اسْتَوْفَى ظُلَامَتَهُ وَبَرِئَ الْأَوَّلُ مِنْ حَقِّهِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ إِثْمُ الِابْتِدَاءِ أَوِ الْإِثْمُ الْمُسْتَحَقُّ لِلَّهِ تَعَالَى وَقِيلَ يَرْتَفِعُ عَنْهُ جَمِيعُ الْإِثْمِ بِالِانْتِصَارِ مِنْهُ وَيَكُونُ مَعْنَى عَلَى الْبَادِئِ أَيْ عَلَيْهِ اللَّوْمُ وَالذَّمُّ لَا الْإِثْمُ

*قَالَ هُوَ الرَّجُلُ يَنْزِلُ بِالرَّجُلِ فَلَا يُحْسِنُ ضِيَافَتَهُ فَيَخْرُجُ فَيَقُولُ:-أَسَاءَ ضِيَافَتِي وَ لَمْ يُحْسِنْ".

وَ فِي رِوَايَةٍ هُوَ الضَّيْفُ الْمُحَوَّلُ رحله فَإِنَّهُ يَجْهَرُ لِصَاحِبِهِ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ.

*مسلم 1727- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ:-

إِنَّكَ تَبْعَثُنَا فَنَنْزِلُ بِقَوْمٍ فَلَا يَقْرُونَنَا فَمَا تَرَى؟ فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ:-

إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمَرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ فَاقْبَلُوا فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخُذُوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ

و من هذا القبيل الحديث المروى:-

*أبي داود5153 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ:- «اذْهَبْ فَاصْبِرْ»

فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ» فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ

فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ:-فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَ فَعَلَ وَ فَعَلَ

فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ:-ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ

و لما كانت الآية قد اشتملت على الكلام السيئ و الحسن و المباح أخبر تعالى:-

(وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا)فيسمع أقوالكم فاحذروا أن تتكلموا بما يُغضب ربكم فيعاقبكم على ذلك.

*و فيه أيضا ترغيب على القول الحسن.

(عَلِيمًا)بنياتكم و مصدر أقوالكم148

(إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ)و هذا يشمل كل خير قوليّ و فعليّ ظاهر و باطن من واجب و مستحب.

(أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ)عمن ساءكم فى أبدانكم و أموالكم و أعراضكم فتسمحوا عنه فإن الجزاء من جنس العمل.

فمن عفا لله عفا الله عنه و من أحسن أحسن الله إليه

فلهذا قال:-(فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا)

يعفو عن زلات عباده و ذنوبهم العظيمة فيُسْدِلُ عليهم ستره ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن قدرته.

*و فى هذه الآية:-

1- إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله و صفاته

2-و أن الخلق و الأمر صادر عنها و هى مقتضية له

و لهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى كما فى هذه الآية.

*لما ذكر عمل الخير و العفو عن المسيء رتب على ذلك:-

بأن أحالنا على معرفة أسمائه و أن ذلك يغنينا عن ذكر ثوابها الخاص.

*مسلم (2588) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:

«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ(ذكروا فيه وجهين أحدهما معناه أنه يبارك فيه ويدفع عنه المضرات فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية وهذا مدرك بالحس والعادة

والثاني أنه وإن نقصت صورته كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة)

وَ مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا

(فيه أيضا وجهان أحدهما على ظاهره ومن عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاد عزه وإكرامه والثاني أن المراد أجره في الآخرة وعزه هناك)

وَ مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»(فيه أيضا وجهان أحدهما يرفعه في الدنيا ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه والثاني أن المراد ثوابه في الآخرة ورفعه فيها بتواضعه في الدنيا قال العلماء وهذه الأوجه في الألفاظ الثلاثة موجودة في العادة معروفة وقد يكون المراد الوجهين معا في جميعها في الدنيا والآخرة)

149

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ)

هنا قسمان قد وضحا لكل أحد:-

أعمال الكافرين و جزاؤهم 150-152

1-مؤمنٌ بالله و برسله كلِّهم و كتبه

2-و كافرٌ بذلك كله.

3-و بقي قسم ثالث:-(وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ)و هو الذى يزعم أنه يؤمن ببعض الرسل دون بعض

(وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ)

و أن هذا سبيل ينجيه من عذاب الله إنْ هذا إلا مجرد أماني.

*فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله و بين رسله.

*فإن من تولى الله حقيقة تولى جميع رسله لأن ذلك من تمام توليه

*و من عادى أحدا من رسله فقد عادى الله و عادى جميع رسله كما قال تعالى:-(مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ)الآيات.

و كذلك مَنْ كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل بل بالرسول الذى يزعم أنه به مؤمن

(وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا)طريقًا إلى الضلالة التي أحدثوها و البدعة التي ابتدعوها150

و لهذا قال: (أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ)هم أهل الكفر(حَقًّا)المحقّق الذى لا شك فيه

*و ذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان و الكفر.

و وجه كونهم كافرين - حتى بما زعموا الإيمان به- أن:-

1-كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به موجود هو أو مثله أو ما فوقه للنبى الذى كفروا به

2-و كل شبهة يزعمون أنهم يقدحون بها في النبى الذى كفروا به موجود مثلها أو أعظم منها فيمن آمنوا به.

*فلم يبق بعد ذلك إلا التشهي و الهوى و مجرد الدعوى التي يمكن كل أحد أن يقابلها بمثلها

*و لما ذكر أن هؤلاء هم الكافرون حقا:-ذكر عقابا شاملا لهم و لكل كافر فقال:-

(وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا)كما تكبروا عن الإيمان بالله أهانهم بالعذاب الأليم المخزى.

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ)

و هذا يتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه و بكل ما جاءت به الرسل من الأخبار و الأحكام.

(وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ)من رسله بل آمنوا بهم كلهم فهذا هو الإيمان الحقيقى و اليقين المبنى على البرهان

كقوله (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ) البقرة: ٢٨٥

(أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ)

جزاء إيمانهم و ما ترتب عليه من عمل صالح و قول حسن و خلق جميل كُلٌّ على حسب حاله.

و لعل هذا هو السر فى إضافة الأجور إليهم

(وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا)يغفر السيئات و يتقبل الحسنات152

أحوال بنى اسرائيل 153-162

(يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ)

هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمدﷺعلى وجه العناد و الاقتراح و جَعْلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم

(أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ)

*و هو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة و الإنجيل

*و هذا غاية الظلم منهم و الجهل فإن الرسول بشر عبد مدبر ليس فى يده من الأمر شيء بل الأمر كله لله

*و هو الذى يرسل و ينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول

*لما ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد ﷺ(قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا)

و كذلك جَعْلِهِم الفارق بين الحق و الباطل مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا مجرد دعوى لا دليل عليها و لا مناسبة بل و لا شبهة

*فمن أين يوجد فى نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذى يأتيكم بكتاب نزل مفرقا فلا تؤمنوا به و لا تصدقوه؟

بل نزول هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته و اعتناء الله بمن أنزل عليه كما قال تعالى:–

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا32 وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)الفرقان

فلما ذكر اعتراضهم الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلكوه مع الرسول الذى يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الله عيانا فقال

(فَقَدۡ سَأَلُواْ)أى أسلافهم(مُوسَىٰٓ)عليه السلام (أَكۡبَرَ)أعظم(مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً)علانيةً

(فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ)فَصُعِقوا(بِظُلۡمِهِمۡ)بسبب ظلمهم أنفسهم حين سألوا أمرًا ليس من حقِّهم

*و بعد أن أحياهم الله بعد الصعق:-

(ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ)إلها يعبدونه من دون الله

(مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ)و رأوا(ٱلۡبَيِّنَٰتُ)على يد موسى الآيات القاطعة بنفى الشرك بأبصارهم ما لم يره غيرهم

(فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ)فعَفونا عن عبادتهم العجل بسبب توبتهم

(وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا)حجة عظيمة تؤيِّد صِدق نُبُوَّتِه153

و من امتناعهم من قبول أحكام كتابهم و هو التوراة فقال الله:–(وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ)

فلقد رفع الطور من فوق رءوسهم و هددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم فقبلوا ذلك على وجه الإغماض

و الإيمان الشبيه بـالإيمان الضرورى

(وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ)الأعراف: ١٧١

(وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا)

و من امتناعهم من دخول أبواب القرية التى أمروا بدخولها سجدا مستغفرين فخالفوا القول و الفعل.

(وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ)

و من اعتداء من اعتدى منهم فى السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة

(وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا)و بأخذ الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم154

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ)فلعنّاهم بسبب نقضهم للعهود

(وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ)بسبب كفرهم بحجج الله و براهينه و المعجزات التى شاهدوها

(وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ)فلقد قتلوا رسله (بِغَيْرِ حَقٍّ)

وَ ذَلِكَ لِكَثْرَةِ إِجْرَامِهِمْ وَ اجْتِرَائِهِمْ عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ قَتَلُوا جَمًّا غَفِيرًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(وَقَوْلِهِمْ)ادَّعَوْا فقالوا(قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ)لا تفقه ما تقول لهم و لا تفهمه و بصدهم الناس عن سبيل الله

فصدوهم عن الحق و دعوهم إلى ما هم عليه من الضلال و الغى. وَ هَذَا كَقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ:-

(وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ)[فُصِّلَتْ: 5]

وَ قِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُمُ ادعَوْا أَنَّ قُلُوبَهُمْ غُلُف لِلْعلم أَيْ: -أَوْعِيَةٌ لِلْعلم قَدْ حَوَتْهُ وَ حَصَّلَتْهُ.

*فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ كَأَنَّهُمْ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ بِأَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَعِي مَا يَقُولُ لِأَنَّهَا فِي غُلْفٍ وَ فِي أَكِنَّةٍ

*وَ عَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي عَكَسَ عَلَيْهِمْ مَا ادَّعَوْهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ

(بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ)طمس الله(عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ)بسبب كفرهم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ هُوَ مَطْبُوعٌ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ.

(فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)لا ينفعهم. أَيْ:-مَردت قُلُوبُهُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَ الطُّغْيَانِ وَ قِلَّةِ الْإِيمَانِ 155

(وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا)رَمَوْهَا بِالزِّنَا

و قالوا:-أَنَّهُمْ رَمَوْهَا وَ ابْنَهَا بِالْعَظَائِمِ فَجَعَلُوهَا زَانِيَةً وَ قَدْ حَمَلَتْ بِوَلَدِهَا مِنْ ذَلِك156

(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ)
*أَيْ هَذَا الَّذِي يَدَّعِي لِنَفْسِهِ هَذَا الْمَنْصِبَ قَتَلْنَاهُ وَ هَذَا مِنْهُمْ مِنْ بَابِ التَّهَكُّمِ وَ الِاسْتِهْزَاءِ كَقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ:-(يَا أَيُّهَا الَّذِي نزل عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) [الْحِجْرِ: 6]

(وَمَا قَتَلُوهُ)و من قولهم:إنهم قتلوا المسيح عيسى و صلبوه و الحال أنهم ما قتلوه

(وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ)غيره فقتلوا غيره و صلبوه.

(وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ)
مَنِ ادَّعَى قَتْلَهُ مِنَ الْيَهُودِ وَ مَنْ سَلَّمه(أسلمه اليهم) مِنْ جُهَّالِ النَّصَارَى

(لَفِى شَكٍّ مِّنْهُۚ) كُلُّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ وَ حَيْرَةٍ وَ ضَلَالٍ و سُعُر

(مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ)

وَ لِهَذَا قَالَ:(وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا)أَيْ: -وَ مَا قَتَلُوهُ مُتَيَقِّنِينَ أَنَّهُ هُوَ بَلْ شَاكِّينَ مُتَوَهِّمِين157

(بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُۚ)رفع الله عيسى(إِلَيْهِ)ببدنه و روحه حيًّا و طهَّره من الذين كفروا

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا)مَنِيعَ الْجَنَابِ لَا يُرَامُ جَنَابُهُ وَ لَا يُضَامُ مَنْ لَاذَ بِبَابِه158

(حَكِيمًا)فِي جَمِيعِ مَا يُقَدِّرُهُ وَ يَقْضِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَخْلُقُهَا وَ لَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ وَ الْحُجَّةُ الدَّامِغَةُ وَ السُّلْطَانُ الْعَظِيمُ وَ الْأَمْرُ الْقَدِيمُ.
*قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَن ابن عباس قال:-
لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ -وَ فِي الْبَيْتِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ-يَعْنِى:- فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَيْنٍ فِي الْبَيْتِ وَ رَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً فَقَالَ:إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي اثْنَتَىْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَلُ مَكَانِي وَ يَكُونَ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟
فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا فَقَالَ لَهُ: -اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ ذَلِكَ الشَّابُّ
فَقَالَ: اجْلِسْ. ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ: أَنَا. فَقَالَ: أَنْتَ هُوَ ذَاكَ.فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَه عِيسَى وَ رُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَة فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ.قَالَ: وَ جَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخَذُوا الشَّبَهَ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ وَ كَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ
وَ افْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ:-
1-فَقَالَتْ طَائِفَةٌ:-كَانَ اللَّهُ فِينَا مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ [وَ هَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَةُ]
2-وَ قَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ [وَ هَؤُلَاءِ النُّسْطُورِيَّةُ]
3-وَ قَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ[وَ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ]

فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَتَلُوهَا فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ158

(وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ)أى:-قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى(الموت العادى المألوف بعد نزوله ﷺ)

-يُوجه ذَلِكَ إِلَى أَنَّ جَمِيعَهُمْ يُصَدِّقُونَ بِهِ إِذَا نَزَلَ لِقَتْلِ الدَّجَّالِ فَتَصِيرُ الْمِلَلُ كُلُّهَا وَاحِدَةً وَ هِىَ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِيَّةُ دِينُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام

*وَ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: عَنِ الْحَسَنِ:-(وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ)

قَالَ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى.وَ اللَّهِ إِنَّهُ الْآنَ حَيٌّ عِنْدَ اللَّهِ وَ لَكِنْ إِذَا نَزَلَ آمَنُوا بِهِ أَجْمَعُونَ.

*قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:- وَ أَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصِّحَّةِ القولُ الأولُ وَ هُوَ أَنَّهُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بَعْدَ نُزُولِ عِيسَى عليه السلام إِلَّا آمَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ أَيْ قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى عليه السلام

وَ لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الَّذِي قَالَهُ ابْنُ جَرِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ الصَّحِيحُ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ مِنْ سِيَاقِ الْآيِ فِي تَقْرِيرِ بُطْلَانِ مَا ادَّعَتْهُ الْيَهُودُ مِنْ قَتْلِ عِيسَى وَ صَلْبِهِ وَ تَسْلِيمِ مَنْ سَلَّمَ لَهُمْ مِنَ النَّصَارَى الْجَهَلَةِ ذَلِكَ

فَأَخْبَرَ اللَّهُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَ إِنَّمَا شُبِّهَ لَهُمْ فَقَتَلُوا الشَّبِيهَ وَ هُمْ لَا يَتَبَيَّنُونَ ذَلِكَ

ثُمَّ إِنَّهُ رَفَعَهُ إِلَيْهِ وَ إِنَّهُ بَاقٍ حَيٌّ وَ إِنَّهُ سَيَنْزِلُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

فَيَقْتُلُ مَسِيحَ الضَّلَالَةِ وَ يَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَ يَقْتُلُ الْخِنْزِيرَوَ يَضَعُ الْجِزْيَةَ-يَعْنِى: لَا يَقْبَلُهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ بَلْ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ أَوِ السَّيْفَ-فَأَخْبَرَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْكِتَابِ حِينَئِذٍ وَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنِ التَّصْدِيقِ بِهِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَ لِهَذَا قَالَ:-(وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ)

أَيْ: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى الَّذِي زَعَمَ الْيَهُودُ وَ مَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ النَّصَارَى أَنَّهُ قُتِلَ وَ صُلِبَ.

(وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِى شَاهَدَهَا مِنْهُمْ قَبْلَ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَ بَعْدَ نُزُولِهِ إِلَى الْأَرْضِ.

*يشهد عليهم أنه قد بلغهم الرسالة من الله و أقر بعبودية الله كقوله(وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)المائدة

*و هذه الطريقة من أحسن الطرق لمحاجة الخصم المبطل و هو أنه:-

إذا صدر منه من الاعتراض الباطل ما جعله شبهة له و لغيره فى رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة و أفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادى الخسيس

و أن له مقدمات يُجعل هذا معها.

*و كذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد ﷺيمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم و ينقمع باطلهم

*و كل حجة سلكوها فى تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها و نظيرها وما هو أقوى منها دالة ومقررة لنبوة محمد ﷺ

*و لما كان المراد من تعديد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضع بل أشار إليها

و أحال على مواضعها و قد بسطها في غير هذا الموضع في المحل اللائق ببسطها.

و قوله:(وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ) يحتمل أن الضمير هنا فى قوله:-(قَبْلَ مَوْتِهِ)

يعود إلى أهل الكتاب فيكون على هذا كل كتابى يحضره الموت و يعاين الأمر حقيقة فإنه يؤمن بعيسى

ﷺو لكنه إيمان لا ينفع إيمان اضطرار فيكون مضمون هذا التهديد لهم و الوعيد

و أن لا يستمروا على هذه الحال التى سيندمون عليها قبل مماتهم فكيف يكون حالهم يوم حشرهم وقيامهم؟

*و يحتمل أن الضمير في قوله: (قَبْلَ مَوْتِهِ)راجع إلى عيسى ﷺ فيكون المعنى:–

و ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح ﷺقبل موت المسيح ﷺ

و ذلك يكون عند اقتراب الساعة و ظهور علاماتها الكبار.

فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام فى آخر هذه الأمة. يقتل الدجال و يضع الجزية

و يؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين.

و يوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا يشهد عليهم بأعمالهم و هل هى موافقة لشرع الله أم لا؟

و حينئذ لا يشهد إلا ببطلان كل ما هم عليه مما هو مخالف لشريعة القرآن

وَ لِمَا دعاهم إليه محمد ﷺ علمنا بذلك لِعلْمِنا بكمال عدالة المسيح ﷺو صدقه و أنه لا يشهد إلا بالحق إلا

أن ما جاء به محمد ﷺهو الحق و ما عداه فهو ضلال و باطل159

ذكر بعض الاحاديث الواردة فى نزول عيسى ﷺالى الارض من السماء فى آخر الزمان قبل يوم القيامة و أنه يدعو الى عبادة الله

*البخارى3448 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«وَ الَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَ يَقْتُلَ الخِنْزِيرَ وَ يَضَعَ الجِزْيَةَ وَ يَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ:-وَ اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ(أن تتأكدوا من معنى وصدق ما أروى):-

(وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)[النساء: 159]

*البخارى 3449 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَ إِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»(يصلى معكم بالجماعة و الإمام من هذه الأمة تكرمة لها أو المراد أنه يحكم بينكم بشرعكم المستمد من كتاب الله تعالى و سنة نبيه محمد)

*أحمد 9270 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:-الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ

وَ أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ نَبِيٌّ وَ إِنَّهُ نَازِلٌ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ:-

رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَى الْحُمْرَةِ وَ الْبَيَاضِ عَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَصَّرَانِ كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ

فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ وَ يَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَ يَضَعُ الْجِزْيَةَ وَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ

فَيُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ وَ يُهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ

ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ وَ النِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ وَ الذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ

وَ يَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ يُتَوَفَّى وَ يُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ "

*مسلم (2897) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ﷛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:-

لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقٍ(موضعان بالشام بقرب حلب) فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خَلُّوا بَيْنَنَا وَ بَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا(روى سبوا على وجهين فتح السين والباء وضمهما قال القاضي في المشارق الضم رواية الأكثرين قال وهو الصواب قلت كلاهما صواب لأنهم سبوا أولا ثم سبوا الكفار)نُقَاتِلْهُمْ فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ:-

لَا وَ اللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ إِخْوَانِنَا فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا(لا يلهمهم التوبة)

وَ يُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ وَ يَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ

فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمِ الشَّيْطَانُ:-

إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ فَيَخْرُجُونَ وَ ذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَ لَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ

*مسلم(2937) عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ﷛ قَالَ:- ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺالدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَ رَفَّعَ

(بتشديد الفاء فيهما و فى معناه قولان أحدهما أن خفض بمعنى حقر وقوله رفع أي عظمه وفخمه فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره ومنه قوله ﷺهو أهون على الله من ذلك وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل ثم يعجز عنه وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة وأنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه والوجه الثاني أنه خفض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد بلاغا كاملا مفخما)

حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ:-«مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا:-

يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَ رَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ فَقَالَ:-

«غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ(هكذا هو فى جميع نسخ بلادنا أخوفنى بنون بعد الفاء وكذا نقله القاضى عن رواية الأكثرين قال ورواه بعضهم بحذف النون وهما لغتان صحيحتان ومعناهما واحد قال شيخنا الإمام أبو عبد الله ابن مالك رحمه الله تعالى الحاجة داعية إلى الكلام فى لفظ الحديث ومعناه فأما لفظه فلكونه تضمن ما لا يعتاد من إضافة أخوف إلى ياء المتكلم مقرونة بنون الوقاية وهذا الاستعمال إنما يكون مع الأفعال المتعدية والجواب إنه كان الأصل إثباتها ولكنه أصل متروك فنبه عليه فى قليل من كلامهم وأنشد فيه أبياتا منها ما أنشده الفراء:-فما أدرى فظنى كل ظن ... أمسلمنى إلى قومى شراحى [يعنى شراحيل فرخمه فى غير النداء للضرورة و أنشد غيره

وليس الموافينى ليرفد خائبا ... فإن له أضعاف ما كان أملا

ولأفعل التفضيل أيضا شبه بالفعل خصوصا بفعل التعجب فجاز أن تلحقه النون المذكورة في الحديث كما لحقت في الأبيات المذكورة هذا هو الأظهر في هذه النون هنا وأما معنى الحديث ففيه أوجه أظهرها أنه من أفعل التفضيل وتقديره غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم ثم حذف المضاف إلى الياء ومنه أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون معناه أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون الثاني أن يكون أخوف من أخاف بمعنى خوف ومعناه غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم والثالث أن يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة كقولهم في الشعر الفصيح شعر شاعر وخوف فلان أخوف من خوفك وتقديره خوف غير الدجال أخوف خوفى عليكم ثم حذف المضاف الأول ثم الثانى هذا آخر كلام الشيخ رحمه الله)

إِنْ يَخْرُجْ وَ أَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ وَ إِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ وَ اللهُ خَلِيفَتِى عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ (شديد جعودة الشعر مباعد للجعودة المحبوبة)عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَ الْعِرَاقِ(هكذا هو فى نسخ بلادنا خلة وقال القاضى المشهور فيه خلة قيل معناه سمت ذلك وقبالته وفى كتاب العين الخلة موضع حزن وصخور قال وذكره الهروى وفسره بأنه ما بين البلدين هذا آخر ما ذكره القاضى وهذا الذى ذكره عن الهروى هو الموجود فى نسخ بلادنا وفى الجمع بين الصحيحين ببلادنا و هو الذى رجحه صاحب نهاية الغريب وفسره بالطريق بينهما)

فَعَاثَ يَمِينًا وَ عَاثَ شِمَالًا(العيث الفساد أو أشد الفساد والإسراع فيه وحكى القاضي أنه رواه بعضهم فعاث اسم فاعل وهو بمعنى الأول) يَا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا»قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟

قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَ يَوْمٌ كَشَهْرٍ وَ يَوْمٌ كَجُمُعَةٍ وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ»

قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟

قَالَ:«لَا اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»(قال القاضى وغيره هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع قالوا ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام ومعنى اقدروا له قدره أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر وإذا مضى بعد هذا قدر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها أما الثانى الذى كشهر والثالث الذى كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه)قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟قَالَ:-كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ

فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَ الْأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَ أَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَ أَمَدَّهُ خَوَاصِرَ(أما تروح فمعناه ترجع آخر النهار و السارحة هى الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى والذرا الأعالي والأسنمة جمع ذروة بالضم والكسر وأسبغه أي أطوله لكثرة اللبن وكذا أمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع)

ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ(قال القاضى أى أصابهم المحل من قلة المطر ويبس الأرض من الكلأ و فى القاموس المحل على وزن فحل الجدب والقحط والإمحال كون الأرض ذات جدب وقحط يقال أمحل البلد إذا أجدب)لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَ يَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا:-أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ(هى ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون قال القاضى المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها)

ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ(هذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق والمهرودتان روي بالدال المهملة والذال المعجمة والمهملة أكثر والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور ومعناه لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة)

وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ(الجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه فسمي الماء جمانا لشبهه به في الصفاء والحسن)

فَلَا يَحِلُّ(معنى لا يحل لا يمكن ولا يقع وقال القاضي معناه عندي حق واجب)لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَ نَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ(معروف بلدة قريبة من بيت المقدس) فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ(قال القاضي يحتمل أن هذا المسح حقيقة على ظاهره فيمسح على وجوههم تبركا وبرا ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ما هم فيه من الشدة والخوف (لا يدان لأحد بقتالهم) يدان تثنية يد قال العلماء معناه لا قدرة ولا طاقة يقال ما لي بهذا الأمر يد وما لي به يدان لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد وكأنه يديه معدومتان لعجزه عن دفعه) وَ يُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى:- إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ

فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ(أي ضمهم واجعله لهم حرزا يقال أحرزت الشيء أحرزه إحرازا إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ)

وَ يَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ وَ هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ(الحدب النشز قال الفراء من كل أكمة من كل موضع مرتفع)

يَنْسِلُونَ(يمشون مسرعين)فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَ يَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ:-

لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ وَ يُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَ أَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى(أى إلى الله أو يدعو) وَ أَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ(هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم الواحدة نغفة)فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى(أي قتلى واحدهم فريس كقتيل وقتلى)كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ(دسمهم)وَ نَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَ أَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ(قال في اللسان البخت والبختية دخيل في العربية أعجمي معرب وهي الإبل الخراسانية تنتج من عربية وفالج وهي جمال طوال الأعناق)فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ(أي لا يمنع من نزول الماء) مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ(الطين الصلب)وَ لَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ

(روى الزلقة وروى الزلفة قال القاضي وكلها صحيحة واختلفوا في معناه فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون معناه كالمرآة وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضا شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها وقيل كمصانع الماء أي أن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء وقال أبو عبيد معناه كالإجانة الخضراء وقيل كالصفحة وقيل كالروضة)ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ:-أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَ رُدِّي بَرَكَتَكِ فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ(هى الجماعة) مِنَ الرُّمَّانَةِ

وَ يَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا(بكسر القاف هو مقعر قشرها شبهها بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ وقيل ما انفلق من جمجمته وانفصل)

وَ يُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ(اللبن)حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ(بكسر اللام وفتحها لغتان مشهورتان الكسر أشهر وهي القريبة العهد بالولادة وجمعها لقح كبركة وبرك واللقوح ذات اللبن وجمعها لقاح)مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ(هي الجماعة الكثيرة هذا هو المشهور والمعروف في اللغة وكتب الغريب)مِنَ النَّاسِ

وَ اللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ

وَ اللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ(قال أهل اللغة الفخذ الجماعة من الأقارب وهم دون البطن والبطن دون القبيلة قال القاضي قال ابن فارس الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير فلا يقال إلا بإسكانها بخلاف الفخذ التى هى العضو فإنها تكسر وتسكن)

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَ كُلِّ مُسْلِمٍ (هكذا هو في جميع نسخ مسلم وكل مسلم بالواو)وَ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ

(أى يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير و لا يكترثون لذلك والهرج بإسكان الراء الجماع يقال هرج زوجته أى جامعها يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها)

فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ

*مسلم (2901) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ:-اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ نَتَذَاكَرُ فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟»قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ قَالَ:-إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ – الدُّخَانَ

(هذا الحديث يؤيد قول من قال إن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنه لم يأت بعد وإنما يكون قريبا من قيام الساعة وقد سبق في50/ 39 40 41 قول من قال هذا وإنكار ابن مسعود عليه و إنه قال إنما هو عبارة عما نال قريش من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان وقد وافق ابن مسعود جماعة وقال بالقول الآخر حذيفة وابن عمر والحسن و رواه حذيفة عن النبى ﷺ وأنه يمكث في الأرض أربعين يوما و يحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار)

وَ الدَّجَّالَ وَ الدَّابَّةَ(هى المذكورة في قوله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم قال المفسرون هى دابة عظيمة تخرج من صدع فى الصفا و عن ابن عمرو بن العاص أنها الجساسة المذكورة فى حديث الدجال) وَ طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا (والدابة) ()

وَ نُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ وَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَ ثَلَاثَةَ خُسُوفٍ:-
خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَ خَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ وَ خَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ
وَ آخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ

(وفى رواية تخرج من قعرة عدن هكذا هو فى الأصول ومعناه من أقصى قعر أرض عدن وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن)

بعض صفات عيسى عليه السلام

*البخارى3438 عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-
«رَأَيْتُ عِيسَى و مُوسَى وَ إِبْرَاهِيمَ فَأَمَّا عِيسَى فَأَحْمَرُ(أبيض مشرب بحمرة)جَعْدٌ(في شعره انثناء) عَرِيضُ الصَّدْرِ وَ أَمَّا مُوسَى فَآدَمُ(فيه سمرة)جَسِيمٌ(كثير اللحم وقيل الجسامة هنا باعتبار الطول) سَبْطٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الزُّطِّ(جنس طوال من السودان)»

*مسلم(168) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:-قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-«حِينَ أُسْرِيَ بِي لَقِيتُ مُوسَى عليه السلام-فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ- فَإِذَا رَجُلٌ-حَسِبْتُهُ قَالَ-مُضْطَرِبٌ(هو مفتعل من الضرب صرح به ابن الأثير في النهاية)رَجِلُ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ»

قَالَ:«وَ لَقِيتُ عِيسَى-فَنَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ-فَإِذَا رَبْعَةٌ(الربعة فيقال رجل ربعة ومربوع أي بين الطويل والقصير)أَحْمَرُ كَأَنَّمَا خَرَجَ مِنْ دِيمَاسٍ»-يَعْنِي حَمَّامًا–(يعنى فى نضارته و كثرة ماء وجهه كأنه خرج من كن لأنه قال فى وصفه كأن رأسه يقطر ماء)

قَالَ:-«وَ رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَ أَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ»
قَالَ:-فَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ وَ فِي الْآخَرِ خَمْرٌ فَقِيلَ لِي:-خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَشَرِبْتُهُ فَقَالَ:-هُدِيتَ الْفِطْرَةَ-أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ-أَمَّا إِنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ

(فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟)

فبسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة وَ مُخَالَفَتِهِمْ رَسُولَهُمْ وَ اخْتِلَافِهِمْ عَلَيْهِ

(حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ)حَرَّم الله عليهم طيبات من المأكل كانت حلالا لهم

*وَ هَذَا التَّحْرِيمُ قَدْ يَكُونُ قَدَرِيًّا بِمَعْنَى:-

أَنَّهُ تَعَالَى قَيَّضَهُمْ لِأَنْ تَأَوَّلُوا فِي كِتَابِهِمْ و حرَّفوا وَ بَدَّلُوا أَشْيَاءَ كَانَتْ حَلَالًا لَهُمْ فَحَرَّمُوهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ تَشْدِيدًا مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ تَضْيِيقًا وَ تَنَطُّعًا.

*وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ شَرْعِيًّا بِمَعْنَى:-أَنَّهُ تَعَالَى حرّم عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَاةِ أَشْيَاءَ كَانَتْ حَلَالًا لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ

كَمَا قَالَ تَعَالَى:-(كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزلَ التَّوْرَاةُ)[آل عمران: 93]

وَ قَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ وَ أَنَّ الْمُرَادَ:-أَنَّ الْجَمِيعَ مِنَ الْأَطْعِمَةِ كَانَتْ حَلَالًا لَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ مَا عَدَا مَا كَانَ حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ لُحُومِ الْإِبِلِ وَ أَلْبَانِهَا.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى حَرَّمَ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِي التَّوْرَاةِ كَمَا فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ:-(وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)[الأنعام: 146]

(وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا)

صَدُّوا النَّاسَ وَ صَدُّوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَ هَذِهِ سَجِيَّةٌ لَهُمْ مُتَّصِفُونَ بِهَا مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ وَ حَدِيثِهِ 160

(وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ)

أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَهَاهُمْ عَنِ الرِّبَا فَتَنَاوَلُوهُ وَ أَخَذُوهُ وَ احْتَالُوا عَلَيْهِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْحِيَلِ وَ صُنُوفٍ مِنَ الشُّبَهِ

فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم أن:-

1-يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء

2-و صدهم الناس عن سبيل الله و منعهم إياهم من الهدى

3-و بأخذهم الربا و قد نهوا عنه فمنعوا المحتاجين ممن يبايعونه عن العدل

*فعاقبهم الله من جنس فعلهم فمنعهم من كثير من الطيبات التى كانوا بصدد حلها لكونها طيبة

*و أما التحريم الذي على هذه الأمة فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التى تضرهم فى دينهم و دنياهم.

(وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ)كـ:-الرشوة و الفتاوى الباطلة التى كانوا يأكلون بها

(وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا) 161

*لما ذكر معايب أهل الكتاب ذكر الممدوحين منهم فقال:-

(لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ)الذين ثبت العلم فى قلوبهم و رسخ الإيقان فى أفئدتهم فأثمر لهم الإيمان التام العام

(وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ)

و أثمر لهم الأعمال الصالحة من إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة اللذين هما أفضل الأعمال و قد اشتملتا على:- الإخلاص للمعبود و الإحسان إلى العبيد و آمنوا باليوم الآخر فخافوا الوعيد و رجوا الوعد

(وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ)زكاة الاموال أو زكاة النفوس و يحتمل الامرين معا

(وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ)و يؤمنون بالله و بالبعث و الجزاء

(أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا)

فقد جمعوا بين العلم و الإيمان و العمل الصالح و الإيمان بالكتب و الرسل السابقة و اللاحقة 162

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

الرسل و الحكمة من ارسالهم 163-166

(إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا)

*وَ هَذِهِ تَسْمِيَةُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ نُصَّ عَلَى أَسْمَائِهِمْ فِي الْقُرْآنِ وَ هُمْ:-

آدَمُ وَ إِدْرِيسُ وَ نُوحٌ وَ هُودٌ وَ صَالِحٌ وَ إِبْرَاهِيمُ وَ لُوطٌ وَ إِسْمَاعِيلُ وَ إِسْحَاقُ وَ يَعْقُوبُ وَ يُوسُفُ وَ أَيُّوبُ وَ شُعَيْبٌ وَ مُوسَى وَ هَارُونُ وَ يُونُسُ وَ دَاوُدُ وَ سُلَيْمَانُ وَ إِلْيَاسُ و الْيَسَعُ وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ وَ كَذَا ذُو الْكِفْلِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ وَ سَيِّدُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

(وَٱلۡأَسۡبَاطِ)و هم الأنبياء الذين كانوا في قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة من ولد يعقوب

*يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده و رسوله من الشرع العظيم و الأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة و السلام

و في هذا عدة فوائد:

1-أن محمدا ﷺليس ببدع من الرسل بل أرسل الله قبله من المرسلين العدد الكثير و الجم الغفير فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل و العناد.

2-أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول و العدل الذي اتفقوا عليه و أن بعضهم يصدق بعضا و يوافق بعضهم بعضا.

3-أنه من جنس هؤلاء الرسل فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين فدعوته دعوتهم و أخلاقهم متفقة و مصدرهم

واحد و غايتهم واحدة فلم يقرنه بالمجهولين و لا بالكذابين و لا بالملوك الظالمين.

4–أن فى ذكر هؤلاء الرسل و تعدادهم من التنويه بهم و الثناء الصادق عليهم و شرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيمانا بهم و محبة لهم اقتداء بهديهم و استنانا بسنتهم و معرفة بحقوقهم و يكون ذلك مصداقا لقوله:–

(سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)

فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه و الرسل – خصوصا هؤلاء المسمون– في المرتبة العليا من الإحسان.

*و لما ذكر اشتراكهم بوحيه ذكر تخصيص بعضهم فذكر أنه آتى داود الزبور و هو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله و شرفه و أنه كلم موسى تكليما أي مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال « موسى كليم الرحمن »

(وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا)

و ذكر أن الرسل منهم من قصه الله على رسوله

(وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ)و منهم من لم يقصصه عليه و هذا يدل على كثرتهم

(رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ)لمن أطاع الله و اتبعهم بالسعادة الدنيوية و الأخروية

(وَمُنذِرِينَ)من عصى الله و خالفهم بشقاوة الدارين

(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ)

{أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[المائدة: 19]

فلم يبق للخلْق على الله حجة لإرساله الرسل تترى يبينون لهم أمر دينهم و مراضي ربهم و مساخطه و طرق الجنة و طرق النار فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

*كقوله(وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ) طه: ١٣٤

*مسلم (2760) عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:-

«لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ وَ لَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ»

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)و هذا من كمال عزته تعالى و حكمته أن أرسل إليهم الرسل و أنزل عليهم الكتب و ذلك أيضا من فضله و إحسانه حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم ضرورة تقدر فأزال هذا الاضطرار فله الحمد وله الشكر و نسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم إنه جواد كريم.

لما ذكر أن الله أوحى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى إخوانه من المرسلين أخبر هنا

(لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ)

(لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ) فصلت: ٤٢

بشهادته تعالى على رسالته و صحة ما جاء به و أنه (أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ)

1-يحتمل أن يكون المراد أنزله مشتملا على علمه أي:-

فيه من العلوم الإلهية و الأحكام الشرعية و الأخبار الغيبية ما هو من علم الله تعالى الذي علم به عباده.

2-و يحتمل أن يكون المـراد:-أنزله صادرا عن علمه و يكون في ذلك إشارة و تنبيه على وجه شهادته

و أن المعنى: إذا كان تعالى أنزل هذا القرآن المشتمل على الأوامر و النواهي و هو يعلم ذلك و يعلم حالة الذي أنزله عليه

و أنه دعا الناس إليه فمن أجابه و صَدَّقه كان وليه

و من كذبه و عاداه كان عدوه و استباح ماله و دمه و الله تعالى يمكنه و يوالي نصره و يجيب دعواته و يخذل أعداءه و ينصر أولياءه فهل توجد شهادة أعظم من هذه الشهادة و أكبر؟

و لا يمكن القدح في هذه الشهادة إلا بعد القدح بعلم الله و قدرته و حكمته

(وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ)

و إخباره تعالى بشهادة الملائكة على ما أنزل على رسوله لـــ:-

1-كمال إيمانهم

2-و لجلالة هذا المشهود عليه.

*فإن الأمور العظيمة لا يستشهد عليها إلا الخواص كما قال تعالى في الشهادة على التوحيد:

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[آل عمران: 18]

*فِيهِ عِلْمُهُ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُطْلِعَ الْعِبَادَ عَلَيْهِ مِنَ:-الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ وَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَ يَرْضَاهُ وَ مَا يَكْرَهُهُ وَ يَأْبَاهُ وَ مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ بِالْغُيُوبِ مِنَ الْمَاضِي وَ الْمُسْتَقْبَلِ وَ مَا فِيهِ مِنْ ذِكْرِ صِفَاتِهِ تَعَالَى الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ إِلَّا أَنْ يُعْلِمَه اللَّهُ بِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-

{وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ} [الْبَقَرَة: 255]وَ قَالَ {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}[طَهَ: 110](وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا)

*لما أخبر عن رسالة الرسل صلوات الله و سلامه عليهم و أخبر برسالة خاتمهم محمد و شهد بها و شهدت ملائكته —لزم من ذلك:- ثبوت الأمر المقرر و المشهود به فوجب تصديقهم و الإيمان بهم و اتباعهم 166

*ثم توعد من كفر بهم فقال:-(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)

أي: جمعوا بين الكفر بأنفسهم و صدِّهم الناس عن سبيل الله. و هؤلاء هم أئمة الكفر و دعاة الضلال

جزاء الكافرين و نهى أهل الكتاب من الغلو بعيسى 167-173

(قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا)

و أي ضلال أعظم من ضلال من ضل بنفسه و أضل غيره فباء بالإثمين و رجع بالخسارتين و فاتته الهدايتان 167

و لهذا قال:-(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ)و هذا الظلم هو زيادة على كفرهم

و إلا فالكفر عند إطلاق الظلم يدخل فيه. و المراد بالظلم هنا أعمال الكفر و الاستغراق فيه

(لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا)فهؤلاء بعيدون من المغفرة و الهداية للصراط المستقيم168

و لهذا قال:-(إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ)

و إنما تعذرت المغفرة لهم و الهداية لأنهم استمروا فى طغيانهم و ازدادوا فى كفرانهم فطبع على قلوبهم

و انسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا (وَمَا رَبُّكَ بِظَلامٍ لِلْعَبِيدِ)

(وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا)

أى لا يبالى الله بهم و لا يعبأ لأنهم لا يصلحون للخير و لا يليق بهم إلا الحالة التى اختاروها لأنفسهم169

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ)

يأمر تعالى جميع الناس أن يؤمنوا بعبده و رسوله محمد ﷺ.

و ذكر السبب الموجب للإيمان به و الفائدة فى الإيمان به و المضرة من عدم الإيمان به

فالسبب الموجب هو إخباره بأنه جاءهم بالحق أى:-

فمجيئه نفسه حق و ما جاء به من الشرع حق فإن العاقل يعرف أن بقاء الخلق فى جهلهم يعمهون

و فى كفرهم يترددون و الرسالة قد انقطعت عنهم غير لائق بحكمة الله و رحمته

*فمن حكمته و رحمته العظيمة نفس إرسال الرسول إليهم لـــ:-

يعرفهم الهدى من الضلال و الغى من الرشد فمجرد النظر فى رسالته دليل قاطع على صحة نبوته.

و ذلك النظر إلى ما جاء به من الشرع العظيم و الصراط المستقيم.

فإن فيه مـــن:-

1-الإخبار بالغيوب الماضية و المستقبلة

2-و الخبر عن الله و عن اليوم الآخر-ما لا يُعرف إلا بالوحى و الرسالة.

3-و ما فيه من الأمر بكل خير و صلاح و رشد و عدل و إحسان و صدق و بر وصلة و حسن خلق

4-ومن النهى عن الشر و الفساد و البغى و الظلم وسوء الخلق والكذب و العقوق مما يقطع به أنه من عند الله

*و كلما ازداد به العبد بصيرة ازداد إيمانه و يقينه فهذا السبب الداعى للإيمان.

و أما الفائدة فى الإيمان فأخبر أنه خير لكم و الخير ضد الشر.

فالإيمان خير للمؤمنين فـــى:-

أبدانهم و قلوبهم و أرواحهم و دنياهم و أخراهم. و ذلك لما يترتب عليه من المصالح و الفوائد

فكل ثواب عاجل و آجل فمن ثمرات الإيمان فالنصر و الهدى و العلم و العمل الصالح و السرور و الأفراح

و الجنة و ما اشتملت عليه من النعيم كل ذلك مسبب عن الإيمان.

*كما أن الشقاء الدنيوى و الأخروى من عدم الإيمان أو نقصه.

(وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)

و أما مضرة عدم الإيمان به ﷺفيعرف بضد ما يترتب على الإيمان به

و أن العبد لا يضر إلا نفسه و الله تعالى غنى عنه لا تضره معصية العاصين

(وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ إبراهيم: ٨

و لهذا قال:-(فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ)الجميع خلقه و ملكه و تحت تدبيره و تصريفه

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا)بكل شيء فهو العليم بمن يستحق الهداية و الغواية

(حَكِيمًا)فى خلقه و أمره.الحكيم فى وضع الهداية و الغواية موضعهما170

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ
إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ
فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ
إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾
فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا
وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ
وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ
فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ)

*يَنْهى تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ عَنِ الْغُلُوِّ وَ الْإِطْرَاءِ وَ هَذَا كَثِيرٌ فِي النَّصارَى فَإِنَّهُمْ تَجَاوَزُوا حَدَّ التَّصْدِيقِ بِعِيسَى حَتَّى رَفَعُوهُ فَوْقَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِى أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا فَنَقَلُوهُ مِنْ حَيِّزِ النُّبُوَّةِ إِلَى أَنِ اتَّخَذُوهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ يَعْبُدُونَهُ كَمَا يَعْبُدُونَهُ بَلْ قَدْ غَلَوْا فِي أَتْبَاعِهِ وَ أَشْيَاعِهِ مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى دِينِهِ فادَّعَوْا فِيهِمُ الْعِصْمَةَ وَ اتَّبَعُوهُمْ فِي كُلِّ مَا قَالُوهُ سَوَاءٌ كَانَ حَقًا أَوْ بَاطِلًا أَوْ ضَلَالًا أَوْ رَشَادًا أَوْ صَحِيحًا أَوْ كَذِبًا؛

وَ لِهَذَا قَالَ{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التَّوْبَة: 31]

*البخارى3445-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ سَمِعَ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ:-

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:« لَاتُطْرُونِى(من الإطراء و هو الإفراط في المديح و مجاوزة الحد فيه و قيل هو المديح بالباطل و الكذب فيه)
كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ(بدعواهم فيه الألوهية و غير ذلك)فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ»

*الكبرى للنسائى 10007 عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ نَاسًا قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ:-

يَا خَيْرَنَا وَ ابْنَ خَيْرِنَا وَ يَا سَيِّدَنَا وَ ابْنَ سَيِّدِنَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِقَوْلِكُمْ وَ لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِى أَنْزَلَنِيهَا اللهُ تَعَالَى أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ»

*ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو فى الدين و هو:–مجاوزة الحد و القدر المشروع إلى ما ليس بمشروع.

*و ذلك كقول النصارى فى غلوهم بعيسى ﷺ و رفعه عن مقام النبوة و الرسالة إلى مقام الربوبية الذى لا يليق بغير الله

فكما أن التقصير و التفريط من المنهيات فالغلو كذلك و لهذا قال:-(وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ)

و هذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: -أمرين منهى عنهما و هما :-

1-قول الكذب على الله

2-و القول بلا علم في أسمائه و صفاته و أفعاله و شرعه و رسله

*مأمور به و هو قول الحق فى هذه الأمور.

*و لما كانت هذه قاعدة كلية و كان السياق فى شأن عيسى ﷺنصَّ على قول الحق فيه المخالف لطريقة اليهودية و النصرانية فقال:-

(إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ)

أى: غاية المسيح ﷺو منتهى ما يصل إليه من مراتب الكمال أعلى حالة تكون للمخلوقين و هى درجة الرسالة التى هى أعلى الدرجات و أجلّ المثوبات.

و أنه (وَكَلِمَتُهُۥ)التى(أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ)

كلمة تكلم الله بها فكان بها عيسى و لم يكن تلك الكلمة و إنما كان بها و هذا من باب إضافة التشريف و التكريم.

و كذلك قوله:-(وَرُوحٌ مِّنْهُ)من الأرواح التى خلقها و كملها بالصفات الفاضلة و الأخلاق الكاملة أرسل الله روحه جبريل ﷺفنفخ في فرج مريم ﷺفحملت بإذن الله بعيسى ﷺ

*إِنَّمَا هُوَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ و خَلق مِنْ خَلْقِهِ قَالَ لَهُ: كُنْ فَكَانَ وَ رَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ أَيْ:-خَلقَه بِالْكَلِمَةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا جِبْرِيلَ ﷺ إِلَى مَرْيَمَ فَنَفْخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَكَانَ عِيسَى بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ صَارَتْ تِلْكَ النَّفْخَةُ الَّتِى نَفَخَهَا فِي جَيْب درعها

{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ}[الْمَائِدَة: 75]

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[آلِ عِمْرَانَ: 59]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}[الأَنْبِيَاءِ: 91]

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ}[التَّحْرِيمِ: 12] وَ قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ الْمَسِيحِ:{إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ}[الزُّخْرُفِ: 59]

*البخارى 3435 عَنْ عُبَادَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-

«مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَ أَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَ رُوحٌ مِنْهُ وَ الجَنَّةُ حَقٌّ(أمر ثابت وحاصل) وَ النَّارُ حَقٌّ

أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ(يكون دخوله الجنة على حسب ما قدم من أعمال في الدنيا فإن لم تكن له ذنوب يعاقب عليها بالنار كان من السابقين وإن كانت له ذنوب فأمره إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ثم كانت نهايته إلى الجنة)»

قَالَ الوَلِيدُ حَدَّثَنِى ابْنُ جَابِرٍ عَنْ عُمَيْرٍ عَنْ جُنَادَةَ:-وَ زَادَ (مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ)

(فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرًا لَّكُمۡۚ)و لا تجعلوا عيسى و أمه مع الله شريكين.

*وَ هَذِهِ الْآيَةُ وَ الَّتِى تَأْتِى فِى سُورَةِ الْمَائِدَةِ حَيْثُ يَقُولُ تَعَالَى:-

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الْمَائِدَة: 73]وَ كَمَا قَالَ فِى آخِرِ السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ:-

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ} [الْمَائِدَة: 116] الْآيَةَ

وَ قَالَ فِى أَوَّلِهَا:{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [الْمَائِدَة: 72] الْآيَةَ

*فَالنَّصَارَى -عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ-مِنْ جَهْلِهِمْ لَيْسَ لَهُمْ ضَابِطٌ وَ لَا لِكُفْرِهِمْ حَدٌّ بَلْ أَقْوَالُهُمْ وَ ضَلَالُهُمْ مُنْتَشِرٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُهُ إِلَهًا وَ مِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُهُ شَرِيكًا وَ مِنْهُمْ مَنْ يَعْتَقِدُهُ وَلَدًا.

وَ هُمْ طَوَائِفُ كَثِيرَةٌ لَهُمْ آرَاءٌ مُخْتَلِفَةٌ وَ أَقْوَالٌ غَيْرُ مُؤْتَلِفَةٍ وَ لَقَدْ أَحْسَنَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ حَيْثُ قَالَ:-

لَوِ اجْتَمَعَ عَشَرَةٌ مِنَ النَّصَارَى لَافْتَرَقُوا عَلَى أَحَدَ عَشَرَ قَوْلًا.

*فلما بيّن حقيقة عيسى ﵇ أمر أهل الكتاب بالإيمان به و برسله و نهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة أحدهم عيسى و الثانى مريم فهذه مقالة النصارى قبحهم الله.

فأمرهم أن ينتهوا و أخبر أن ذلك خير لهم لأنه الذى يتعين أنه سبيل النجاة و ما سواه فهو طريق الهلاك

*ثم نزه نفسه عن الشريك و الولد فقال:-(إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ)هو المنفرد بالألوهية الذى لا تنبغى العبادة إلا له

(سُبۡحَٰنَهُۥٓ)تنزه و تقدس(أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ)لأن(لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ)

فالكل مملوكون له مفتقرون إليه فمحال أن يكون له شريك منهم أو ولد.

(وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا)على تدبير خلقه و تصريف معاشهم فتوكّلوا عليه وحده فهو كافيكم.

*و لما أخبر أنه المالك للعالم العلوى و السفلى أخبر أنه قائم بمصالحهم الدنيوية و الأخروية و حافظها و مجازيهم عليها تعالى171

*لما ذكر تعالى غلو النصارى فى عيسى ﵇و ذكر أنه عبده و رسوله ذكر هنا أنه:-

(لَّن يَسۡتَنكِفَ)يمتنع عنها رغبة عنها

(ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ)أى عن عبادة ربه

(وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ)

*فنزههم عن الاستنكاف و تنزيههم عن الاستكبار من باب أولى و نفى الشىء فيه إثبات ضده.

أى: فعيسى و الملائكة المقربون قد رغبوا فى عبادة ربهم و أحبوها و سعوا فيها بما يليق بأحوالهم فأوجب لهم ذلك الشرف العظيم و الفوز العظيم فلم يستنكفوا أن يكونوا عبيدا لربوبيته و لا لإلهيته

بل يرون افتقارهم لذلك فوق كل افتقار.

و لا يظن أن رفع عيسى أو غيره من الخلق فوق مرتبته التي أنزله الله فيها و ترفعه عن العبادة كمالا بل هو النقص بعينه و هو محل الذم و العقاب

* كما قال{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ26 لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ27 يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ28 وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}الأنبياء

و لهذا قال:–(وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا)

فسيحشر الخلق كلهم إليه المستنكفين و المستكبرين و عباده المؤمنين فيحكم بينهم بحكمه العدل و جزائه الفصل172

*ثم فصل حكمه فيهم فقال:–(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ)

جمعوا بين الإيمان المأمور به و عمل الصالحات من:–

واجبات و مستحبات من حقوق الله و حقوق عباده

(فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ)الأجور التي رتبها على الأعمال كُلٌّ بحسب إيمانه و عمله.

(وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ)من الثواب الذي لم تنله أعمالهم و لم تصل إليه أفعالهم و لم يخطر على قلوبهم.

و دخل في ذلك كل ما في الجنة من:–

المآكل و المشارب و المناكح و المناظر و السرور و نعيم القلب و الروح و نعيم البدن

بل يدخل في ذلك كل خير ديني و دنيوي رتب على الإيمان و العمل الصالح.

(وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ)عن عبادة الله تعالى

(فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)و هو سخط الله و غضبه و النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة

(وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا)يتولاهم فيحصل لهم المطلوب

(وَلَا نَصِيرًا)ينصرهم فيدفع عنهم المرهوب

بل قد تخلى عنهم أرحم الراحمين و تركهم في عذابهم خالدين و ما حكم به تعالى فلا رادّ لحكمه و لا مغيّر لقضائه كقوله{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}[غافر: 60]

أَيْ:-صَاغِرِينَ حَقِيرِينَ ذَلِيلِينَ كَمَا كَانُوا مُمْتَنِعِينَ مُسْتَكْبِرِينَ173

*يمتن تعالى على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة و الأنوار الساطعة و يقيم عليهم الحجة و يوضح لهم المحجة فقال:–

ثواب المهتدين 174-175

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ)حجج قاطعة على الحق تبينه و توضحه و تبين ضده.

وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية الآيات الأفقية والنفسية(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

(مِّن رَّبِّكُمۡ)ما يدل على شرف هذا البرهان و عظمته حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية و الدنيوية فمن تربيته لكم التى يحمد عليها و يشكر أن أوصل إليكم البينات ليهديكم بها إلى الصراط المستقيم و الوصول إلى جنات النعيم.

(وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا)و هو هذا القرآن العظيم الذى قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين و الأخبار الصادقة النافعة و الأمر بكل عدل و إحسان و خير و النهي عن كل ظلم و شر فالناس فى ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره و فى شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خيره174

و لكن انقسم الناس – بحسب الإيمان بالقرآن و الانتفاع به– قسمين:–

1–القسم الأول:–(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ)

1–اعترفوا بوجوده و اتصافه بكل وصف كامل 2–و تنزيهه من كل نقص و عيب.

(وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ)1–لجأوا إلى الله و اعتمدوا عليه 2–و تبرؤوا من حولهم و قوتهم3–و استعانوا بربهم.

(فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ)أى: فسيتغمدهم بالرحمة الخاصة

فـ:–1–يوفقهم للخيرات 2–و يجزل لهم المثوبات 3–و يدفع عنهم البليات و المكروهات

(وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا)أى:–

4–يوفقهم للعلم و العمل معرفة الحق و العمل به.

2–القسم الثاني:–و من لم يؤمن بالله و يعتصم به و يتمسك بكتابه:–

1–منعهم من رحمته 2–و حرمهم من فضله 3–و خلى بينهم و بين أنفسهم

فلم يهتدوا بل ضلوا ضلالا مبينا عقوبة لهم على تركهم الإيمان فحصلت لهم الخيبة و الحرمان175

يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿١٧٦﴾

5-سورة المائدة -مدنية-بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢﴾

ميراث الأخوة 175

(يَسۡتَفۡتُونَكَ)عن حكم الكلالة(قُلِ)ميراث الكلالة(ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ)يبين لكم

(فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ)و هى الميت يموت و ليس له ولد صلب و لا ولد ابن و لا أب و لا جد

*مَأْخُوذَةٌ مِنَ الْإِكْلِيلِ الَّذِى يُحِيطُ بِالرَّأْسِ مِنْ جَوَانِبِه وَ لِهَذَا فَسَّرَهَا أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ: - بِمَنْ يَمُوتُ وَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَ لَا وَالِدٌ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ:-الْكَلَالَةُ مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ

*البخارى 5588 -عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-

خَطَبَ عُمَرُ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِﷺفَقَالَ:-إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ وَ هِيَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ:- العِنَبِ وَ التَّمْرِ وَ الحِنْطَةِ وَ الشَّعِيرِ وَ العَسَلِ وَ الخَمْرُ مَا خَامَرَ العَقْلَ.

وَ ثَلَاثٌ وَدِدْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺلَمْ يُفَارِقْنَا حَتَّى يَعْهَدَ إِلَيْنَا عَهْدًا(يبين لنا بيانا فيها):-

الجَدُّ(أحوال ميراثه) وَ الكَلَالَةُ(أى من هي على التحقيق وهي القرابة من غير جهة الأصول والفروع)

وَ أَبْوَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا(بعض المبايعات التي يدخلها الربا في التعامل)

قَالَ:-قُلْتُ(القائل هو أبو حيان التيمى أحد الرواة) يَا أَبَا عَمْرٍو(هي كنية الشعبي)

فَشَيْءٌ يُصْنَعُ بِالسِّنْدِ(بلاد بالقرب من الهند ولعلها الصين) مِنَ الأُرْزِ؟

قَالَ:ذَاكَ لَمْ يَكُنْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ- أَوْ قَالَ: - عَلَى عَهْدِ عُمَرَ "

وَ قَالَ حَجَّاجٌ: عَنْ حَمَّادٍ عَنْ أَبِي حَيَّانَ: «مَكَانَ العِنَبِ الزَّبِيبَ»

*مسلم (1617) عَنْ مَعْدَانَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَذَكَرَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ

وَ ذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ قَالَ:-إِنِّي لَا أَدَعُ بَعْدِى شَيْئًا أَهَمَّ عِنْدِى مِنَ الْكَلَالَةِ مَا رَاجَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺفِي شَيْءٍ مَا رَاجَعْتُهُ فِي الْكَلَالَةِ وَ مَا أَغْلَظَ لِي فِي شَيْءٍ مَا أَغْلَظَ لِي فِيهِ حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِى وَ قَالَ:-

«يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِى فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ وَ إِنِّي إِنْ أَعِشْ أَقْضِ فِيهَا بِقَضِيَّةٍ يَقْضِى بِهَا مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَ مَنْ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ»

*البخارى6741 عَنِ الأَسْوَدِ قَالَ: قَضَى فِينَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

«النِّصْفُ لِلابْنَةِ وَ النِّصْفُ لِلْأُخْتِ»ثُمَّ قَالَ سُلَيْمَانُ:- قَضَى فِينَا وَ لَمْ يَذْكُرْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

*البخارى6736-عن هُزَيْلَ بْنَ شُرَحْبِيلَ قَالَ:-

سُئِلَ أَبُو مُوسَى عَنْ بِنْتٍ وَ ابْنَةِ ابْنٍ وَ أُخْتٍ فَقَالَ:-لِلْبِنْتِ النِّصْفُ وَ لِلْأُخْتِ النِّصْفُ

وَ أْتِ ابْنَ مَسْعُودٍ فَسَيُتَابِعُنِى(يوافقنى فى قولى) فَسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَ أُخْبِرَ بِقَوْلِ أَبِي مُوسَى فَقَالَ:-

لَقَدْ ضَلَلْتُ(أى لو وافقته وقلت بحرمان بنت الابن لكنت ضالا لمخالفتى صريح السنة الثابتة عندى)

إِذًا وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أَقْضِي فِيهَا بِمَا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ:-

«لِلابْنَةِ النِّصْفُ وَ لِابْنَةِ ابْنٍ السُّدُسُ تَكْمِلَةَ الثُّلُثَيْنِ وَ مَا بَقِيَ فَلِلْأُخْتِ»

فَأَتَيْنَا أَبَا مُوسَى فَأَخْبَرْنَاهُ بِقَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ:-

لاَ تَسْأَلُونِي مَا دَامَ هَذَا الحَبْرُ(العالم الذي يحسن الكلام ويزينه والمراد ابن مسعود ﷺ)فِيكُمْ

و لهذا قال: (إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ)مات(لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ)لا ذكر و لا أنثى لا ولد صلب و لا ولد ابن.

و كذلك ليس له والد بدليل أنه ورث فيه الإخوة و الأخوات بالإجماع لا يرثون مع الوالد فإذا هلك وليس له ولد ولا والد

(وَلَهُۥٓ أُخْتٌ)أى: شقيقة أو لأب لا لأم فإنه قد تقدم حكمها.

(فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ)أى نصف متروكات أخيها من نقود و عقار و أثاث و غير ذلك و ذلك من بعد الدين و الوصية كما تقدم.

(وَهُوَ)أخوها الشقيق أو الذي للأب

(يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ)و لم يقدر له إرثا لأنه عاصب فيأخذ مالها كله إن لم يكن صاحب فرض و لا عاصب يشاركه أو ما أبقت الفروض.

*وَ الْأَخُ يَرِثُ جَمِيعَ مَا لَهَا إِذَا مَاتَتْ كَلَالَةً وَ لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ أَيْ:-

وَ لَا وَالِدَ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لَهَا وَالِدٌ لَمْ يَرِثِ الْأَخُ شَيْئًا

فَإِنْ فُرِضَ أَنَّ مَعَهُ مَنْ لَهُ فَرْضٌ صُرِفَ إِلَيْهِ فَرْضُهُ كَزَوْجٍ أَوْ أَخٍ مِنْ أُمٍّ وَصُرِفَ الْبَاقِي إِلَى الْأَخِ

لِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:-

أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا أَبْقَتِ الْفَرَائِضُ فَلأَوْلَى رجلٍ ذَكَرٍ

(فَإِن كَانَتَا)الأختان(ٱثْنَتَيْنِ)فما فوق(فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ)اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث

(فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ)فيسقط فرض الإناث و يعصبهن إخوتهن.

(يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ)أحكامه التى تحتاجونها و يوضحها و يشرحها لكم فضلا منه و إحسانا

(أَن تَضِلُّواْۗ)عن الحق لكى:-

1-تهتدوا ببيانه 2-و تعملوا بأحكامه 3-و لئلا تضلوا عن الصراط المستقيم بسبب جهلكم و عدم علمكم

(وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ)

عالم بالغيب و الشهادة و الأمور الماضية و المستقبلة و يعلم حاجتكم إلى بيانه و تعليمه فيعلمكم من علمه الذى ينفعكم على الدوام فى جميع الأزمنة و الأمكنة.

*الصحيح المسند من أسباب النزول:-البخارى4605 عن البَرَاءَ ﷺقَالَ:-

آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ بَرَاءَةَ وَ آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ:-{يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ: اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ} [النساء: 176]

*مسلم (1616) عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ ﷺقَالَ:-مَرِضْتُ فَأَتَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَ أَبُو بَكْرٍ يَعُودَانِي مَاشِيَيْنِ

(هكذا هو فى أكثر النسخ ماشيان وفى بعضها ماشيين وهذا ظاهر والأول صحيح أيضا وتقديره وهما ماشيان)

فَأُغْمِيَ عَلَيَّ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَبَّ عَلَيَّ مِنْ وَضُوئِهِ فَأَفَقْتُ قُلْتُ:-يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَقْضى فِي مَالِي؟

فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ شَيْئًا حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ:-{يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ}[النساء: 176]

(قالوا هى اسم يقع على الوارث وعلى الموروث فإن وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وإن وقع على الموروث فهو على من مات ولا يرثه أحد الأبوين ولا أحد الأولاد وقال النووي اختلفوا في اشتقاق الكلالة فقال الأكثرون مشتقة من التكلل وهو التطرف فابن العم مثلا يقال له كلالة لأنه ليس على عمود النسب بل على طرفه وقيل من الإحاطة ومنه الإكليل وهو شبه عصابة تزين بالجوهر فسموا كلالة لأحاطتهم بالميت من جوانبه وقيل مشتقة من كل الشيء إذا بعد وانقطع ومنه قولهم كلت الرحم إذا بعدت وطال انتسابها ومنه كل في مشبه إذا انقطع لبعد مسافته واختلف العلماء في المراد بالكلالة في الآية على أقوال أحدها المراد الموارثة إذا لم يكن للميت ولد ولا والد وتكون الكلالة منصوبة على تقدير يورث وراثة كلالة والثاني أنه اسم للميت الذي ليس له ولد ولا والد ذكرا كان الميت أو أنثى كما يقال رجل عقيم وامرأة عقيم وتقديره يورث كما يورث في حال كونه كلالة والثالث أنه اسم للورثة الذين ليس فيهم ولد ولا والد والرابع أنه اسم للمال الموروث)

قد تقدم أنها نزلت فى جابر {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ}

و هنا يقول إنها نزلت فيه {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ}

وقد رجح الحافظ ابن كثير رحمه الله أن آية {يُوصِيكُمُ اللَّهُ} نزلت في بنات سعد بن الربيع

و أن آية {يَسْتَفْتُونَكَ} نزلت فى جابر فإنه إنما كان له إذ ذاك أخوات و لم يكن له بنات ا. هـ.

و قال الحافظ فى الفتح ج9 ص337 :-و هذه قصة أخرى غير التى تقدمت فيما يظهر لى و قد قدمت المستند واضحا فى أوائل هذه السورة والله أعلم.

و أقول لا مانع أن تكون الآيتان نزلتا معا في قصة جابر في آن واحد إذ الحديث حديثٌ واحد يدور على محمد بن المنكدر فبعضهم يرويه عنه ويقول آية الميراث وبعضهم يرويه عنه ويقول: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ} وبعضهم يرويه عنه ويقول: {يَسْتَفْتُونَكَ} فإن قيل يشكل عليك أن آية {يُوصِيكُمُ اللَّهُ} نزلت في شأن جابر وبنات سعد بن الربيع و قد استشهد بأحد وآية {وَيَسْتَفْتُونَكَ}من آخر القرآن نزولا.

أقول: لا إشكال فعلى فرض صحة حديث جابر في بنات سعد بن الربيع لا يلزم أنها قسمت تركته بعد موته. على أنه لا ينبغي أن تعارض الأحاديث الصحيحة بحديث عبد الله بن محمد بن عقيل فهو سيئ الحفظ كما هو معروف من ترجمته176

الايمان بالعقود و بيان ما أحل الله و ما حرم الله و الغسل و التيمم 1-6

تفسير سورة المائدة-و هى مدنية-بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ)العهود و هِيَ سِتَّةٌ:

1-عَهْدُ اللَّهِ 2-وَ عَقْدُ الْحِلْفِ-3 وَ عَقْدُ الشَّرِكَةِ 4-وَ عَقْدُ الْبَيْعِ 5-وَ عَقْدِ النِّكَاحِ 6-وَ عَقْدِ الْيَمِينِ.

*هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان ب:–الوفاء بالعقود أى:–

1– بإكمالها 2–و إتمامها 3–و عدم نقضها و نقصها

و هذا شامل للعقود التى بين العبد و بين ربه من :–

1–التزام عبوديته 2–و القيام بها أتم قيام 3–و عدم الانتقاص من حقوقها شيئا

*و التى بينه و بين الرسول :–بطاعته و اتباعه

*و التى بينه و بين الوالدين و الأقارب:–ببرهم و صلتهم و عدم قطيعتهم.

*و التى بينه و بين أصحابه من:–القيام بحقوق الصحبة فى الغنى و الفقر و اليسر و العسر

*و التى بينه و بين الخلق من :–

عقود المعاملات كـــالبيع و الإجارة و نحوهما و عقود التبرعات كالهبة و نحوها

*بل و القيام بحقوق المسلمين التى عقدها الله بينهم فى قوله:–(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)بـــ:–

1–التراصر على الحق 2–و التعاون عليه و التآلف بين المسلمين و عدم التقاطع.

فهذا الأمر شامل لأصول الدين و فروعه فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها

ثم قال ممتنا على عباده:–(أُحِلَّتۡ لَكُم)لأجلكم رحمة بكم

(بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ)من الإبل و البقر و الغنم بل ربما دخل فى ذلك :–

الوحشى منها و الظباء و حمر الوحش و نحوها من الصيود

و استدل بعض الصحابة بهذه الآية على إباحة الجنين الذى يموت فى بطن أمه بعدما تذبح.

(إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ)تحريمه منها فى قوله:-

(حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ المائدة:٣

فإن هذه المذكورات و إن كانت من بهيمة الأنعام فإنها محرمة.

*و لما كانت إباحة بهيمة الأنعام عامة فى جميع الأحوال و الأوقات استثنى منها الصيد فى حال الإحرام فقال:

(غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ)أحلت لكم بهيمة الأنعام فى كل حال إلا حيث كنتم متصفين بأنكم غير محلي الصيد

(وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ)متجرئون على قتله فى حال الإحرام و فى الحرم فإن ذلك لا يحل لكم إذا كان صيدا كالظباء و نحوه. و الصيد هو الحيوان المأكول المتوحش.

(إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ)أى:–فمهما أراده تعالى حكم به حكما موافقا لحكمته

1–كما أمركم بالوفاء بالعقود لحصول مصالحكم و دفع المضار عنكم.

2–و أحل لكم بهيمة الأنعام رحمة بكم

3–و حرم عليكم ما استثنى منها من ذوات العوارض من الميتة و نحوها صونا لكم و احتياطا

4–و من صيد الإحرام احتراما للإحرام و إعظاما 1

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ)محرماته التى أمركم بتعظيمها و عدم فعلها

و النهى يشمل النهى عن فعلها و النهى عن اعتقاد حلها فهو يشمل النهى عن:–فعل القبيح و عن اعتقاده.

و يدخل فى ذلك النهى عن محرمات الإحرام و محرمات الحرم. و يدخل فى ذلك ما نص عليه بقوله:–

(وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ)أى:لا تنتهكوه بالقتال فيه و غيره من أنواع الظلم كما قال تعالى:–

(إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ)و الجمهور من العلماء على أن القتال فى الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى:–

(فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ

و غير ذلك من العمومات التى فيها الأمر بقتال الكفار مطلقا و الوعيد فى التخلف عن قتالهم مطلقا.

و بأن النبي ﷺقاتل أهل الطائف فى ذى القعدة و هو من الأشهر الحرم.

و قال آخرون:–

إن النهى عن القتال فى الأشهر الحرم غير منسوخ لهذه الآية و غيرها مما فيه النهى عن ذلك بخصوصه

و حملوا النصوص المطلقة الواردة على ذلك و قالوا: المطلق يحمل على المقيد.

و فصل بعضهم فقال:–لا يجوز ابتداء القتال فى الأشهر الحرم

*و أما استدامته و تكميله إذا كان أوله فى غيرها فإنه يجوز.

و حملوا قتال النبى ﷺلأهل الطائف على ذلك لأن أول قتالهم فى « حنين » فى « شوال »

و كل هذا فى القتال الذى ليس المقصود منه الدفع.

*فأما قتال الدفع إذا ابتدأ الكفار المسلمين بالقتال فإنه يجوز للمسلمين القتال دفعا عن أنفسهم فى الشهر الحرام و غيره بإجماع العلماء.

*البخارى 3197 عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

الزَّمَانُ (اسم لقليل الوقت وكثيره والمراد به هنا السنة)قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ(عاد إلى أصل الحساب والوضع الذي اختاره الله ووضعه يوم خلق السماوات والأرض وذلك أن العرب كانوا يؤخرون المحرم ليقاتلوا فيه وهكذا يؤخرونه كل سنة فينتقل من شهر إلى شهر حتى جعلوه في جميع شهور السنة فلما كانت تلك السنة كان قد عاد إلى زمنه المخصوص به)يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ (محرمة لا يقاتل فيها إلا من اعتدى)
ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ:-ذُو الْقَعْدَةِ وَ ذُو الْحِجَّةِ وَ الْمُحَرَّمُ
وَ رَجَبُ مُضَرَ(نسب إلى مضر لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من غيرها)الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَ شَعْبَانَ

(وَلَا ٱلۡهَدۡيَ)و لا تستحِلُّوا حرمة الهَدْى

أى: و لا تحلوا الهدى الذى يهدى إلى بيت الله فى حج أو عمرة أو غيرهما من نعم و غيرها

فلا تصدوه عن الوصول إلى محله و لا تأخذوه بسرقة أو غيرها

و لا تقصروا به أو تحملوه ما لا يطيق خوفا من تلفه قبل وصوله إلى محله بل عظموه و عظموا من جاء به.

(وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ)نوع خاص من أنواع الهدى و هو الهدى الذى يُفْتل له قلائد أو عرى فيجعل فى أعناقه إظهارا

لشعائر الله و هى ضفائر من صوف أو وَبَر فى الرقاب علامةً على أن البهيمة هَدْيٌ

و أن الرجل يريد الحج و حملا للناس على الاقتداء و تعليما لهم للسنة و ليعرف أنه هدى فيحترم

*و لهذا كان تقليد الهدى من السنن و الشعائر المسنونة.

*البخارى1534-عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ:-إِنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ ﷺيَقُولُ:-

سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺبِوَادِي العَقِيقِ(قرب البقيع بينه وبين المدينة أربعة أميال. ومعنى العقيق الذي شقه السيل قديما من العق وهو الشق)يَقُولُ:-

أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ(اسم فاعل من أتى وهو جبريل عليه السلام)مِنْ رَبِّي فَقَالَ:-

صَلِّ فِي هَذَا الوَادِي المُبَارَكِ(من البركة وهي الزيادة والنماء في الخير)وَ قُلْ:-عُمْرَةً فِي حَجَّةٍ(أى اجعل عمرتك مقرونة بالحج)

(وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ)قاصدين له (يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا)

فَأَمَّا مَنْ قَصَدَهُ بِالْإِلْحَادِ فِيهِ وَ الشِّرْكِ عِنْدَهُ وَ الْكُفْرِ بِهِ فَهَذَا يُمْنَعُ كَمَا قَالَ تَعَالَى

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [التَّوْبَة: 28]

وَ لِهَذَا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَامَ تِسْعٍ -لَمَّا أَمَّرَ الصِّدِّيقَ عَلَى الْحَجِيجِ-عليًا وَ أَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ عَلَى سَبِيلِ النِّيَابَةِ

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺبِبَرَاءَةٍ وَ أَلَّا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِك وَ لَا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُرْيان

أي: من قصد هذا البيت الحرام و قصده فضل الله بالتجارة و المكاسب المباحة أو قصده رضوان الله بحجه

و عمرته و الطواف به و الصلاة و غيرها من أنواع العبادات

فلا تتعرضوا له بسوء و لا تهينوه بل:-1-أكرموه 2-و عظموا الوافدين الزائرين لبيت ربكم.

و دخل فى هذا الأمر الأمرُ بتأمين الطرق الموصلة إلى بيت الله و جعل القاصدين له مطمئنين مستريحين

غير خائفين على أنفسهم من القتل فما دونه و لا على أموالهم من المكس و النهب و نحو ذلك.

و هذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله:-(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا)

فالمشرك لا يُمَكَّن من الدخول إلى الحرم. و التخصيص في هذه الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت

ابتغاء فضل الله أو رضوانه- يدل على:-أن من قصده ليلحد فيه بالمعاصي

فإن من تمام احترام الحرم صد من هذه حاله عن الإفساد ببيت الله كما قال تعالى:

(وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ)الحج:٢٥و لما نهاهم عن الصيد فى حال الإحرام قال:-

(وَإِذَا حَلَلْتُمْ)من الإحرام بالحج و العمرة و خرجتم من الحرم

(فَٱصْطَادُوا۟)حل لكم الاصطياد و زال ذلك التحريم.

و الأمر بعد التحريم يرد الأشياء إلى ما كانت عليه من قبل.

(وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ)يحملنكم (شَنَـَٔانُ)بغض (قَوۡمٍ)و عداوتهم و اعتداؤهم عليكم

(أَن)حيث(صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ)أى على الاعتداء عليهم طلبا للاشتفاء منهم

*فإن العبد عليه أن يلتزم أمر الله و يسلك طريق العدل و لو جُنِى عليه أو ظلم و اعتدى عليه فلا يحل له أن يكذب على من كذب عليه أو يخون من خانه

(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ)ليعن بعضكم بعضا على البر:–اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من :–
الأعمال الظاهرة و الباطنة من حقوق الله و حقوق الآدميين

(وَٱلتَّقۡوَىٰۖ)فى هذا الموضع:–اسم جامع لترك كل ما يكرهه الله و رسوله من:–الأعمال الظاهرة و الباطنة
و كلُّ خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها
فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه و بمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها بكل قول يبعث عليها و ينشط لها
و بكل فعل كذلك.

(وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ)و هو التجرؤ على المعاصى التى يأثم صاحبها و يحرج.

(وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ)و هو التعدى على الخَلْق فى دمائهم و أموالهم و أعراضهم

*فكل معصية و ظلم يجب على العبد كف نفسه عنه ثم إعانة غيره على تركه.

*البخارى 6952- عَنْ أَنَسٍ ﵁قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»
فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟
قَالَ: «تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)

على من عصاه و تجرأ على محارمه فاحذروا المحارم لئلا يحل بكم عقابه العاجل و الآجل 2

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ۖ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ)هذا الذى حولنا الله عليه فى قوله: -(إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ)

و اعلم أن الله تبارك و تعالى لا يُحرّم ما يحرّم إلا صيانة لعباده و حماية لهم من الضرر الموجود في المحرمات و قد يبين للعباد ذلك و قد لا يبين.

فأخبر أنه حرم (الْمَيْتَةُ)ما فُقِدَت حياتُهُ بغير ذكاة شرعية فإنها تحرم لضررها و هو احتقان الدم فى جوفها و لحمها المضر بآكلها. و كثيرا ما تموت بعلة تكون سببا لهلاكها فتضر بالآكل.

*و يستثنى من ذلك ميتة الجراد و السمك فإنه حلال.

*أبي داود83 - عن أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:-
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَ نَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفَنَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»

(وَالدَّمُ)المسفوح كما قيد في الآية الأخرى.

(وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ)إِنْسِيُّهُ وَ وَحْشِيُّهُ

و ذلك شامل لجميع أجزائه و إنما نص الله عليه من بين سائر الخبائث من السباع لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن الله أحله لهم.أى:-فلا تغتروا بهم بل هو محرم من جملة الخبائث.

*مسلم2260 عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:-
«مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ(هو النرد فالنرد عجمي معرب وشير معناه حلو)فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمِ خِنْزِيرٍ وَ دَمِهِ»
-فَإِذَا كَانَ هَذَا التَّنْفِيرُ لِمُجَرَّدِ اللَّمْسِ فَكَيْفَ يَكُونُ التَّهْدِيدُ وَ الْوَعِيدُ الْأَكِيدُ عَلَى أَكْلِهِ وَ التَّغَذِّي بِهِ

وَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى شُمُول اللَّحْمِ لِجَمِيعِ الْأَجْزَاءِ مِنَ الشَّحْمِ وَ غَيْرِهِ.

*البخارى2236 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ:-سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ عَامَ الفَتْحِ وَ هُوَ بِمَكَّةَ:-«إِنَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الخَمْرِ وَ المَيْتَةِ وَ الخِنْزِيرِ وَ الأَصْنَامِ»فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ شُحُومَ المَيْتَةِ فَإِنَّهَا يُطْلَى(يدهن) بِهَا السُّفُنُ وَ يُدْهَنُ بِهَا الجُلُودُ وَ يَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ(يجعلونها في مصابيحهم يستضيئون بها)؟ فَقَالَ: «لاَ هُوَ حَرَامٌ»ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعِنْدَ ذَلِكَ:-قَاتَلَ اللَّهُ اليَهُودَ إِنَّ اللَّهَ لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا (شحوم الميتة أو شحوم البقر والغنم كما أخبر تعالى بقوله {ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما})جَمَلُوهُ (أذابوه واستخرجوا دهنه)ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ

(وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ)ذُكر عليه اسم غير الله تعالى من:–الأصنام و الأولياء و الكواكب و غير ذلك من المخلوقين

فكما أن ذكر الله تعالى يطيب الذبيحة فذكر اسم غيره عليها يفيدها خبثا معنويا لأنه شرك بالله تعالى.

(وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ)الميتة بخنق بيد أو حبل أو إدخالها رأسها بشيء ضيق فتعجز عن إخراجه حتى تموت.

(وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ)الميتة بسبب الضرب بعصا أو حصى أو خشبة أو هدم شيء عليها بقصد أو بغير قصد.

*البخارى2054 عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنهقَالَ:-

سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺعَنِ المِعْرَاضِ(سهم لا ريش عليه وفيه خشبة ثقيلة أو عصا وقيل هو عود دقيق الطرفين غليظ الوسط إذا رمي به ذهب مستويا)فَقَالَ:-«إِذَا أَصَابَ بِحَدِّهِ فَكُلْ وَ إِذَا أَصَابَ بِعَرْضِهِ فَقَتَلَ فَلاَ تَأْكُلْ فَإِنَّهُ وَقِيذٌ(موقوذ وهو المقتول بالخشب ونحوه.)»

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُرْسِلُ كَلْبِي وَ أُسَمِّ فَأَجِدُ مَعَهُ عَلَى الصَّيْدِ كَلْبًا آخَرَ لَمْ أُسَمِّ عَلَيْهِ وَ لاَ أَدْرِى أَيُّهُمَا أَخَذَ؟ قَالَ: «لاَ تَأْكُلْ إِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَ لَمْ تُسَمِّ عَلَى الآخَرِ»

(وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ)الساقطة من علو كجبل أو جدار أو سطح و نحوه فتموت بذلك.

(وَٱلنَّطِيحَةُ)هي التي تنطحها غيرها فتموت.

(وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ)من ذئب أو أسد أو نمر أو من الطيور التي تفترس الصيود فإنها إذا ماتت بسبب أكل السبع فإنها لا تحل.

(إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ)راجع لهذه المسائل من منخنقة و موقوذة و متردية و نطيحةو أكيلة سبع إذا ذكيت و فيها حياة مستقرة لتتحقق الذكاة فيها و لهذا قال الفقهاء:–

« لو أبان السبع أو غيره حشوتها أو قطع حلقومها كان وجود حياتها كعدمه لعدم فائدة الذكاة فيها »

و بعضهم لم يعتبر فيها إلا وجود الحياة فإذا ذكاها و فيها حياة حلت و لو كانت مبانة الحشوة و هو ظاهر الآية الكريمة

(إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ)عَائِدٌ عَلَى مَا يُمْكِنُ عَوْدُهُ عَلَيْهِ مِمَّا انْعَقَدَ سَبَبُ مَوْتِهِ فَأَمْكَنَ تَدَارُكُهُ بِذَكَاةٍ وَ فِيهِ حَيَاةٌ مُسْتَقِرَّةٌ وَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعُودُ عَلَى قَوْلِهِ:-{وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ}

*الْمُذَكَّاةَ مَتَى تَحَرَّكَتْ بِحَرَكَةٍ تَدُلُّ عَلَى بَقَاءِ الْحَيَاةِ فِيهَا بَعْدَ الذَّبْحِ فَهِىَ حَلَالٌ وَ هَذَا مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ

*مسلم(1968) عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ قُلْتُ:-يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لَاقُو الْعَدُوِّ غَدًا وَ لَيْسَتْ مَعَنَا مُدًى

قَالَ ﷺ:-«أَعْجِلْ-أَوْ أَرْنِي–(فى النهاية قد اختلف في ضيغتها ومعناها قال الخطابى هذا حرف طال ما استثبت فيه الرواة وسألت عنه أهل العلم باللغة فلم أجد عند واحد منهم شيئا يقطع بصحته وقد طلبت لي مخرجا فرأيته يتجه لوجوه أحدها أن يكون من قولهم أران القوم فهم مرينون إذا هلكت مواشيهم فيكون معناه أهلكها ذبحا وأزهق نفسها بكل ما أنهر الدم غير السن والظفر أرن والثاني أن يكون إأرن بوزن إعرن من أرن يأرن إذا نشط وخف يقول خف وأعجل لئلا تقتلها خنقا والثالث أن يكون بمعنى أدم الحز ولا تفتر من قولك رنوت النظر إلى الشيء إذا أدمته أو يكون أراد أدم النظر إليه وراعه ببصرك لئلا تزل عن المذبح وتكون الكلمة إرن بوزن إرم وقال الزمخشري كل ما علاك وغلبك فقد ران بك ورين بفلان ذهب به الموت وأران القوم إذا رين بمواشيهم أي هلكت وصاروا ذوي رين في مواشيهم فمعنى إرن أي صر ذا رين في ذبيحتك ويجوز أن يكون أراد تعدية ران أي أزهق نفسها وقال القسطلاني بهمزة مفتوحة وراء ساكنة ونون مكسورة وياء حاصلة من إشباع كسرة النون)

مَا أَنْهَرَ الدَّمَ(معناه أساله وصبه بكثرة وهو مشبه بجرى الماء فى النهر يقال نهر الدم وأنهرته)

وَ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ(هكذا هو فى النسخ كلها وفيه محذوف أى وذكر اسم الله عليه أو معه)

فَكُلْ لَيْسَ السِّنَّ وَ الظُّفُرَ(السن والظفر منصوبان بالاستثناء بليس)

وَ سَأُحَدِّثُكَ أَمَّا السِّنُّ فَعَظْمٌ وَ أَمَّا الظُّفُرُ فَمُدَى الْحَبَشَةِ»قَالَ:-

وَ أَصَبْنَا نَهْبَ(هو المنهوب وكان هذا النهب غنيمة)إِبِلٍ وَ غَنَمٍ فَنَدَّ مِنْهَا بَعِيرٌ (أى شرد وهرب نافرا)

فَرَمَاهُ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فَحَبَسَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِنَّ لِهَذِهِ الْإِبِلِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الْوَحْشِ(جمع آبدة وهي النفرة والفرار والشرود يقال منه أبدت تأبد وتأبدت ومعناه نفرت من الإنس وتوحشت)فَإِذَا غَلَبَكُمْ مِنْهَا شَيْءٌ فَاصْنَعُوا بِهِ هَكَذَا»

(وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ)ما ذبح على الأصنام المنصوبة التى تمثل:-

إلهاً أو زعيماً أو عظيماً و مثلها ما ذبح على أضرحة الأولياء و قبورهم و على الجان.

*كَانَتِ النُّصُبُ حِجَارَةً حَوْلَ الْكَعْبَةِ قال ابْنُ جُرَيْجٍ: وَ هِيَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَ سِتُّونَ نُصُبًا كَانَ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا يَذْبَحُونَ عِنْدَهَا وَ يَنْضَحُونَ مَا أَقْبَلَ مِنْهَا إِلَى الْبَيْتِ بِدِمَاءِ تِلْكَ الذَّبَائِحِ وَ يُشَرِّحُونَ اللَّحْمَ وَ يَضَعُونَهُ عَلَى النُّصُبِ.فَنَهَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ هَذَا الصَّنِيعِ وَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ أَكْلَ هَذِهِ الذَّبَائِحِ الَّتِي فُعِلَتْ عِنْدَ النُّصُبِ حَتَّى وَ لَوْ كَانَ يُذْكَرُ عَلَيْهَا اسْمُ اللَّهِ فِي الذَّبْحِ عِنْدَ النُّصُبِ مِنَ الشِّرْكِ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ.

وَ يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ هَذَا عَلَى هَذَا لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ تَحْرِيمُ مَا أهل به لغير الله.

(وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِۚ)و حُرم عليكم الاستقسام بالأزلام.

و معنى الاستقسام:–طلب ما يُقسم لكم و يقدر بها

و هى قداح ثلاثة كانت تستعمل فى الجاهلية مكتوب على أحدها:–

« افعل » و على الثانى :–«لا تفعل »و الثالث :–غفل لا كتابة فيه.

فإذا هَمَّ أحدهم بسفر أو عرس أو نحوهما أجال تلك القداح المتساوية فى الجرمثم أخرج واحدا منها

*فإن خرج المكتوب عليه « افعل » مضى فى أمره

*و إن ظهر المكتوب عليه « لا تفعل » لم يفعل و لم يمض فى شأنه

*و إن ظهر الآخر الذى لا شىء عليه أعادها حتى يخرج أحد القدحين فيعمل به.

فحرمه الله عليهم الذى فى هذه الصورة و ما يشبهه و عوضهم عنه بـالاستخارة لربهم فى جميع أمورهم.

*البخارى 1601 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:-

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ(مكة)أَبَى أَنْ يَدْخُلَ البَيْتَ وَ فِيهِ الآلِهَةُ(الأصنام التي كانوا يزعمون أنها آلهة)فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ فَأَخْرَجُوا صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا الأَزْلَامُ(جمع زلم و ه ى أعواد نحتوها و كتبوا على أحدها(افعل) والآخر (لا تفعل) والثالث لا شيء عليه فإذا أرادوا القيام بعمل ضربوا بها أى جعلوها في كيس أو نحوه و أدخل السادن أو غيره يده وأخرج واحدا منها فأيها خرج عملوا بما كتب عليه)

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
«قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَمَا وَ اللَّهِ لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمَا لَمْ يَسْتَقْسِمَا(لم يطلبا القسم أي معرفة ما قسم لهما وما لم يقسم)بِهَا قَطُّ»
فَدَخَلَ الْبَيْتَ فَكَبَّرَ فِي نَوَاحِيهِ وَ لَمْ يُصَلِّ فِيهِ

صلاة الاستخارة:-البخارى 6382عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ:-
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاِسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ: -
إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ:-اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَ أَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ
وَ أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَ لاَ أَقْدِرُ وَ تَعْلَمُ وَ لاَ أَعْلَمُ وَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَ مَعَاشِي وَ عَاقِبَةِ أَمْرِي-أَوْ قَالَ:-
فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَ آجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي وَ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَ مَعَاشِي وَ عَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ:-فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَ آجِلِهِ -فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَ اصْرِفْنِي عَنْهُ وَ اقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ وَ يُسَمِّي حَاجَتَهُ "

(ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ)الإشارة لكل ما تقدم من المحرمات التي حرمها الله صيانة لعباده و أنها فسق أى:—
خروج عن طاعته إلى طاعة الشيطان. ثم امتن على عباده بقوله:—

(ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ)

*مسلم(2812) عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:
«إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ و لَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»
(ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها)

*و اليوم المشار إليه يوم عرفة إذ أتم الله دينه و نصر عبده و رسوله و انخذل أهل الشرك انخذالا بليغا بعد ما كانوا حريصين على رد المؤمنين عن دينهم طامعين في ذلك.

فلما رأوا عز الإسلام و انتصاره و ظهوره يئسوا كل اليأس من المؤمنين أن يرجعوا إلى دينهم و صاروا يخافون منهم و يخشون و لهذا في هذه السنة التى حج فيها النبى ﷺسنة عشر حجة الوداع –
لم يحج فيها مشرك و لم يطف بالبيت عريان.

وَ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ:-أَنَّهُم يَئِسُوا مِنْ مُشَابَهَةِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا تَمَيَّزَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلشِّرْكِ وَ أَهْلِهِ
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى آمِرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَصْبِرُوا وَ يَثْبُتُوا فِي مُخَالَفَةِ الْكُفَّارِ وَ لَا يَخَافُوا أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ
فَقَالَ: {فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ} أَيْ:-لَا تَخَافُوا مِنْهُمْ فِي مُخَالَفَتِكُمْ إِيَّاهُمْ وَ اخْشَوْنِي
أَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ أُبِيدَهُمْ وَ أُظْفِرْكُمْ بِهِمْ وَ أَشْفِ صُدُورَكُمْ مِنْهُمْ و أجعلكم فوقهم فِي الدنيا و الآخرة.

و لهذا قال: (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ)

فلا تخشوا المشركين و اخشوا الله الذي نصركم عليهم و خذلهم و رد كيدهم في نحورهم.

(ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)

بتمام النصر و تكميل الشرائع الظاهرة و الباطنة الأصول و الفروع

و لهذا كان الكتاب و السنة كافيين كل الكفاية في أحكام الدين أصوله و فروعه.

فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم و أحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب و السنة من علم الكلام و غيره فهـو:-جاهل مبطل فى دعواه

قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله و دعا إليه و هذا من أعظم الظلم و التجهيل لله و لرسوله.

(وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي)الظاهرة و الباطنة

(وَرَضِيتُ)اخترت و اصطفيت(لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ) كما ارتضيتكم له فقوموا به شكرا لربكم

و احمدوا الذي مَنَّ عليكم بأفضل الأديان و أشرفها و أكملها.

*هَذِهِ أَكْبَرُ نِعَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ حَيْثُ أَكْمَلَ تَعَالَى لَهُمْ دِينَهُمْ فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى دِينٍ غَيْرِهِ وَ لَا إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِ

وَ لِهَذَا جَعَلَهُ اللَّهُ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ وَ بَعَثَهُ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَلَا حَلَالَ إِلَّا مَا أَحَلَّهُ وَ لَا حَرَامَ إِلَّا مَا حَرَّمَهُ وَ لَا دِينَ إِلَّا مَا شَرَعَهُ وَ كُلُّ شَيْءٍ أَخْبَرَ بِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَ صِدْقٌ لَا كَذِبَ فِيهِ وَ لَا خُلْف

كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا} [الأنعام: 115] أَيْ:-صِدْقًا فِي الْأَخْبَارِ (وَعَدْلًا) فِي الْأَوَامِرِ وَ النَّوَاهِى

فَلَمَّا أَكْمَلَ الدِّينَ لَهُمْ تَمَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ وَ لِهَذَا قَالَ

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا} أَيْ:-

فَارْضَوْهُ أَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَإِنَّهُ الدِّينُ الَّذِي رَضِيَهُ اللَّهُ وَ أَحَبَّهُ وَ بَعَثَ بِهِ أَفْضَلَ رُسُلِهِ الْكِرَامِ وَ أَنْزَلَ بِهِ أَشْرَفَ كُتُبِهِ.

*البخارى 4407 عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ رضي الله عنه أَنَّ أُنَاسًا مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا:-

لَوْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا لاَتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا فَقَالَ عُمَرُ:-أَيَّةُ آيَةٍ؟ فَقَالُوا:

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا} [المائدة: 3].

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «إِنِّي لَأَعْلَمُ أَيَّ مَكَانٍ أُنْزِلَتْ أُنْزِلَتْ وَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ»

*البخارى4606 عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَتِ الْيَهُودُ لِعُمَرَ: -

إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ آيَةً لَوْ نَزَلَتْ فِينَا لاَتَّخَذْنَاهَا عِيدًا فَقَالَ عُمَرُ:-

إِنِّي لَأَعْلَمُ حَيْثُ أُنْزِلَتْ وَ أَيْنَ أُنْزِلَتْ وَ أَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَتْ:-يَوْمَ عَرَفَةَ وَ إِنَّا وَ اللَّهِ بِعَرَفَةَ – قَالَ سُفْيَانُ:-وَ أَشُكُّ - كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ أَمْ لاَ {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: 3]

(فَمَنِ ٱضۡطُرَّ)ألجأته الضرورة إلى أكل شيء من المحرمات السابقة

(فِي مَخۡمَصَةٍ)مجاعة(غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ)مائل (لِّإِثۡمٖ)بأن لا يأكل حتى يضطر و لا يزيد فى الأكل على كفايته

(فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)

حيث أباح له الأكل في هذه الحال و رحمه بما يقيم به بنيته من غير نقص يلحقه فى دينه 3

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: (يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ)من الأطعمة؟

(قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ)و هى كل ما فيه نفع أو لذة من غير ضرر بالبدن و لا بالعقل

*فدخل في ذلك جميع الحبوب و الثمار التى فى القرى و البرارى

و دخل فى ذلك جميع حيوانات البحر و جميع حيوانات البر إلا ما استثناه الشارع كالسباع و الخبائث منها.

و لهذا دلت الآية بمفهومها على تحريم الخبائث كما صرح به في قوله تعالى:–

(وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ) الأعراف: ١٥٧

(وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ)أحل لكم ما علمتم من الجوارح إلى آخر الآية.

*دلت هذه الآية على أمور:–

1–لطف الله بعباده و رحمته لهم حيث وسع عليهم طرق الحلال و أباح لهم ما لم يذكوه مما صادته الجوارح

و المراد بـــ (ٱلۡجَوَارِحِ):–الكلاب و الفهود و الصقر و نحو ذلك مما يصيد بنابه أو بمخلبه.

2–أنه يشترط أن تكون معلمة بما يُعَدُ فى العرف تعليما بأن يسترسل إذا أرسل و ينزجر إذا زجر و إذا أمسك لم يأكل

و لهذا قال: (تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ)أمسكن من الصيد لأجلكم.

و ما أكل منه الجارح فإنه لا يعلم أنه أمسكه على صاحبه و لعله أن يكون أمسكه على نفسه.

3–اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير و نحوهما لقوله: (مِنَ الْجَوَارِحِ) مع ما تقدم من تحريم المنخنقة.

فلو خنقه الكلب أو غيره أو قتله بثقله لم يبح هذا بناء على أن الجوارح اللاتى يجرحن الصيد بأنيابها

أو مخالبها و المشهور أن الجوارح بمعنى الكـواسب أى:–

المحصلات للصيد و المدركات لها فلا يكون فيها على هذا دلالة و الله أعلم .

كقوله(وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ) الأنعام: ٦٠ أى ما كسبتم من خير و شر-الجرح هو الكسب

4–جواز اقتناء كلب الصيد كما ورد فى الحديث الصحيح مع أن اقتناء الكلب محرم لأن من لازم إباحة صيده و تعليمه جواز اقتنائه.

5–طهارة ما أصابه فم الكلب من الصيد لأن الله أباحه و لم يذكر له غسلا فدل على طهارته.

6–فيه فضيلة العلم و أن الجارح المعلم–بسبب العلم–يباح صيده و الجاهل بالتعليم لا يباح صيده.

7–أن الاشتغال بتعليم الكلب أو الطير أو نحوهما ليس مذموما و ليس من العبث و الباطل. بل هو أمر مقصود لأنه وسيلة لحل صيده و الانتفاع به

8–فيه حجة لمن أباح بيع كلب الصيد قال:–لأنه قد لا يحصل له إلا بذلك.

9-فيه اشتراط التسمية عند إرسال الجارح و أنه إن لم يسم الله متعمدا لم يبح ما قتل الجارح.

10-أنه يجوز أكل ما صاده الجارح سواء قتله الجارح أم لا.

و أنه إن أدركه صاحبه و فيه حياة مستقرة فإنه لا يباح إلا بها.

*البخاري 5478 عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ:-
يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا بِأَرْضِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أَفَنَأْكُلُ فِي آنِيَتِهِمْ(أوعيتهم التي يطبخون فيها)؟
وَ بِأَرْضِ صَيْدٍ أَصِيدُ بِقَوْسِي(بسهم قوسي)وَ بِكَلْبِي الَّذِي لَيْسَ بِمُعَلَّمٍ وَ بِكَلْبِي المُعَلَّمِ فَمَا يَصْلُحُ لِي(يجوز لي أكله)؟
قَالَ: «أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا فَلاَ تَأْكُلُوا فِيهَا
وَ إِنْ لَمْ تَجِدُوا فَاغْسِلُوهَا وَ كُلُوا فِيهَا وَ مَا صِدْتَ بِقَوْسِكَ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ فَكُلْ
وَ مَا صِدْتَ بِكَلْبِكَ المُعَلَّمِ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ وَ مَا صِدْتَ بِكَلْبِكَ غَيْرِ مُعَلَّمٍ فَأَدْرَكْتَ ذَكَاتَهُ
(أدركته وفيه حياة فذبحته) فَكُلْ»

*البخاري5486 - عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ:-قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرْسِلُ كَلْبِي وَ أُسَمِّي
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-«إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ وَ سَمَّيْتَ فَأَخَذَ فَقَتَلَ فَأَكَلَ فَلاَ تَأْكُلْ فَإِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ»
قُلْتُ: إِنِّي أُرْسِلُ كَلْبِي أَجِدُ مَعَهُ كَلْبًا آخَرَ لاَ أَدْرِي أَيُّهُمَا أَخَذَهُ؟ فَقَالَ:-
«لاَ تَأْكُلْ فَإِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ وَ لَمْ تُسَمِّ عَلَى غَيْرِهِ»وَ سَأَلْتُهُ عَنْ صَيْدِ المِعْرَاضِ فَقَالَ:
«إِذَا أَصَبْتَ بِحَدِّهِ فَكُلْ وَ إِذَا أَصَبْتَ بِعَرْضِهِ فَقَتَلَ فَإِنَّهُ وَقِيذٌ فَلاَ تَأْكُلْ»

(مُكَلِّبِينَ)صائدين-مرسلين الجارحة على الصيد سواء كانت الجارحة:-كلباً أو طيراً

المكلب: هو معلم الكلاب و مدربها على الصيد و يقال للصائد:- مكلب
يكتفي في الطير بأن تطيع إذا أمرت إذ هي دون الكلاب في الاستعداد للفهم والاستجابة و مثلها:- سباع الوحوش فإنها دون الكلاب أيضًا إلى أن الجمهور يشترط فيها ما يشترط في الكلاب.

(فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ)لكم

(وَٱذۡكُرُوا۟ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ)عند إرسالها للصيد

*البخاري 5376 - عن عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ:
-كُنْتُ غُلاَمًا (صبيا دون البلوغ)فِي حَجْرِ(تربيته وتحت رعايته)رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَ كَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ(أحركها في جوانب القصعة لألتقط الطعام) فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
«يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ(قل بسم الله الرحمن الرحيم عند بدء الأكل)وَ كُلْ بِيَمِينِكَ وَ كُلْ مِمَّا يَلِيكَ(من الجانب الذي يقرب منك من الطعام)»
فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ

*البخاري7398 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَا هُنَا أَقْوَامًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِشِرْكٍ
يَأْتُونَا بِلُحْمَانٍ(جمع لحم) لاَ نَدْرِي يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَمْ لاَ قَالَ: «اذْكُرُوا أَنْتُمُ اسْمَ اللَّهِ وَكُلُوا»

*ثم حث تعالى على تقواه و حذر من إتيان الحساب في يوم القيامة و أن ذلك أمر قد دنا و اقترب فقال:-

(وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ) 4

(ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ)يقول كرر تعالى إحلال الطيبات لبيان الامتنان و دعوة للعباد إلى شكره و الإكثار من ذكره حيث أباح لهم ما تدعوهم الحاجة إليه و يحصل لهم الانتفاع به من الطيبات.

(وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ)ذبائح اليهود و النصارى حلال لكم – يا معشر المسلمين– دون باقي الكفار فإن ذبائحهم لا تحل للمسلمين و ذلك لأن أهل الكتاب ينتسبون إلى الأنبياء و الكتب.

و قد اتفق الرسل كلهم على تحريم الذبح لغير الله لأنه شرك فاليهود و النصارى يتدينون بتحريم الذبح لغير الله فلذلك أبيحت ذبائحهم دون غيرهم.

و الدليل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم أن الطعام الذي ليس من الذبائح كالحبوب و الثمار ليس لأهل الكتاب فيه خصوصية بل يباح ذلك و لو كان من طعام غيرهم.

و أيضا فإنه أضاف الطعام إليهم.

فدل ذلك على أنه كان طعاما بسبب ذبحهم.

و لا يقال: إن ذلك للتمليك و أن المراد: الطعام الذي يملكون. لأن هذا لا يباح على وجه الغصب و لا من المسلمين.

*مسلم (1772) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ رضي الله عنه قَالَ:-أَصَبْتُ جِرَابًا(بكسر الجيم وفتحها لغتان الكسر أفصح وأشهر وهو وعاء من جلد) مِنْ شَحْمٍ يَوْمَ خَيْبَرَ قَالَ:-فَالْتَزَمْتُهُ فَقُلْتُ: لَا أُعْطِي الْيَوْمَ أَحَدًا مِنْ هَذَا شَيْئًا قَالَ:- «فَالْتَفَتُّ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَبَسِّمًا»

*البخارى 2617 عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ يَهُودِيَّةً(اسمها زينب واختلف في إسلامها)أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ فَأَكَلَ مِنْهَا فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ:-أَلاَ نَقْتُلُهَا قَالَ: «لاَ» فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا(أعرف أثرها) فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (جمع لهاة وهي ما يبدو من الفم عند التبسم و قيل ىى اللحمة الى بأعلى الحنجرة من أقصى الفم)

(وَطَعَامُكُمۡ)أيها المسلمون (حِلّٞ لَّهُمۡۖ)يحل لكم أن تطعموهم إياه (وَ) أحل لكم

(وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ)الحرائر العفيفات عن الزنى كقوله(مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖ)النساء: ٢٥

(مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ)و الحرائر العفيفات(مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ)من اليهود و النصارى.

و هذا مخصص لقوله تعالى (وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ)

و مفهوم الآية أن:–الأرقاء من المؤمنات لا يباح نكاحهن للأحرار و هو كذلك.

و أما الكتابيات فعلى كل حال لا يحن و لا يجوز نكاحهن للأحرار مطلقا لقوله تعالى:(مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ)

و أما المسلمات إذا كن رقيقات

فإنه لا يجوز للأحرار نكاحهن إلا بشرطين:– 1–عدم الطول 2–و خوف العنت.

و أما الفاجرات غير العفيفات عن الزنا فلا يباح نكاحهن سواء كن مسلمات أو كتابيات حتى يتبن

لقوله تعالى: (الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً) الآية.

(إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ)أبحنا لكم نكاحهن إذا أعطيتموهن مهورهن فمن عزم على أن لا يؤتيها مهرها فإنها لا تحل له.

و أمر بإيتائها إذا كانت رشيدة تصلح للإيتاء و إلا أعطاه الزوج لوليها.

و إضافة الأجور إليهن دليل على أن المرأة تملك جميع مهرها و ليس لأحد منه شيء إلا ما سمحت به لزوجها أو وليها أو غيرهما.

(مُحۡصِنِينَ)حالة كونكم – أيها الأزواج– محصنين لنسائكم بسبب حفظكم لفروجكم عن غيرهن.

(غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ)زانين مع كل أحد

(وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٍۗ)هو الزنا مع العشيقات لأن الزناة فى الجاهلية منهم من يزنى مع من كان فهذا المسافح.

و منهم من يزني مع خدنه و مُحِبه.

فأخبر الله تعالى أن ذلك كله ينافي العفة و أن شرط التزوج أن يكون الرجل عفيفا عن الزنا.

*و أمِنتم من التأثر بدينهن

(وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ)و من كفر بالله تعالى و ما يجب الإيمان به من كتبه و رسله أو شيء من الشرائع

(فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ)بشرط أن يموت على كفره كما قال تعالى:

(وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ

(وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)

الذين خسروا أنفسهم و أموالهم و أهليهم يوم القيامة و حصلوا على الشقاوة الأبدية 5

الاعجاز العلمى

الميتـــــــــــة:–

لقد ثبت علميا و بشكل شبه مؤكد أن جسم الميتة في الحيوانات يحتبس فيه الدم بكل رواسبه و سمومه و قد يتخلل جميع الأنسجة اللحمية و تبدأ السموم عملها في كل خلايا الجسم فتكتسب الميتة اللون الداكن و تمتلئ الأوردة السطحية بالدماء و تتوقف الدورة الدموية دون أن يتسرب حتى و لو قدر ضئيل من تلك الدماء إلى خارج الجسم و تصبح بذلك الميتة كلها بؤرة فاسدة للأمراض و مجمعا خبيثا للميكروبات

و يبدأ التعفن فى عمله فيها و يعم أثره فى اللحم لونا و طعما و رائحة فالميتة إذن ليست من الطيبات على الإطلاق ..{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ} (المائدة 4)

كما أن الميتة يفقد لحمها كل قيمة لأن إنزيمات التحلل تبدأ عملها فى الخلايا فتفقدها كل قيمة غذائية

و على أية حال فإن المسلمين يمتنعون تماما و من قبل معرفة هذه الحقائق عن أكل لحم الميتة اتباعا لأوامر الخالق في كتابه الكريم
لأنهم يؤمنون أن ما جاء في هذا القرآن إنما هو الحق المطلق الذي لا يتغير ولا يتبدل..
{وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ
(يونس 37)
أنواع الميتة:
المنخنقة :-ه ى التى تموت بالخنق إما قصدا و إما عرضا كأن تتعثر مثلا فى وثاقها فتموت
و قد ثبت علميا أن الحيوان إذا مات مختنقا أى بمنع الأوكسجين في الدخول إلى رئتيه فإنه يتراكم فى جسمه غاز ثانى أكسيد الكربون السام كما تتراكم جميع الإفرازات السامة التي تخرج عادة مع التنفس في عملية الزفير
و هذه المواد إذا احتبست و لم تخرج عادت لتمتص في الجسم و يحدث التسمم فى كل الأنسجة فتؤدى إلى الوفاة.
و بالتالي فإن أكل لحوم هذه الحيوانات معناه انتقال هذه المواد السامة إلى جسم آكلها فتسبب أمراضا خطيرة أيسر كثيرا من علاجها أن نتجنب أكل هذه اللحوم كما أمرنا العليم الحكيم.
الموقوذة:-الموقوذة ه ى التى تضرب بعصا أو خشبة أو حجر حتى الموت
و هذه الحيوانات تفسد لحومها لتلف الأنسجة و احتوائها على الكثير من الميكروبات نتيجة احتقان الدم فيها و عدم ذبحها بالطريقة التى أمر بها الله جل و علا .
المتردية:-ه ى التى تموت من السقوط من مكان عال أو تسقط فى بئر أو من جراء حادث كصدمة سيارة
و هذه الحيوانات تفسد لحومها و تتلف و لا تكون صالحة لغذاء البشر لما تحتويه من جراثيم و ميكروبات تسبب أمراضا شتى.
النطيحة:-ه ى التى تموت بسبب نطح حيوان آخر لها
و قد قال ابن عباس:-النطيحة هي ما نطحت فماتت فما أدركته يتحرك بذنبه أو بعينه فاذبح و كل"( )
و لحومها تحتوى على ميكروبات مختلفة نتيجة موتها بهذه الطريقة و عدم تخلصها من الدماء الفاسدة.
ما أكل السبع:-و قد حرمت لحوم ما أكل السبع لحكمة إلهية عظيمة اكتشف الطب الحديث جانبا منها حيث ثبت أن الجراثيم و الميكروبات التي تكون فى أظافر السبع حين تنهش فريستها تنتقل إليها و تسبب أمراضا لمن يأكل لحومها بعد ذلك كما أن السبع أو الحيوانات البرية بشكل عام قد تكون مصابة بمرض تظهر آثاره في فمه و لعابه و ينتقل بدوره إلى جسم الفريسة
فتتسبب فى أضرار بالغة لآكل لحومها. قال الله تعالى :{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ} (البقرة 173)
وقال جل وعلا: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ} (المائدة 3) 0
فلنتعرف أولاً على وظيفة الدم في جسم الكائن الحى:-إن الدم يقوم في جسم الكائن الحي بوظيفتين:

أنظر تفسير الطبري ج6 ص72 بلفظ:" حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس "إلا ما ذكيتم" يقول ما أدركت ذكاته من هذا كله يتحرك له ذنب أو تطرف له عين فاذبح واذكر اسم الله عليه فهو حلال ، وانظر صحيح البخاري ج5 ص2085 / 75- كتاب الذبائح والصيد / 1- باب التسمية على الصيد، وانظر مقدمة فتح الباري ج1 ص196]

الأولى: أنه ينقل المواد الغذائية التي تمتص من الأمعاء مثل البروتينات و السكريات و الدهون إلى أعضاء الجسم و عضلاته إلى جانب حمله للفيتامينات و الهرمونات و الأوكسجين و جميع العناصر الحيوية الضرورية.

الثانية: هي حمل إفرازات الجسم الضارة في جسم الحيوان كي يتخلص منها مع البول أو العرق أو البراز.

فإذا كان الحيوان مريضا فإن الميكروبات تتكاثر عادة في دمه لأنها تستعمله كوسيلة للانتقال من عضو إلى آخر كما أن إفرازات الميكروب و سمياته تنتقل عن طريق الدم أيضا

و هنا يكمن الخطر.. لأنه إذا شرب الإنسان الدم فستنتقل إليه كل هذه الميكروبات و إفرازاتها و تتسبب في أمراض كثيرة مثل ارتفاع البولينا في الدم مما يهدد بحدوث فشل كلوى أو ارتفاع نسبة الأمونيا فى الدم و حدوث غيبوبة كبدية..و كثير من الجراثيم التى يحملها الدم تحدث فى المعدة و الأمعاء تهيجاً فى الأغشية مما يسبب أمراضا كثيرة

لكل هذه الأسباب حتم الإسلام الذبح الشرعى الذي يقتضى تصفية دم الحيوان بعد ذبحه.

و كذا حرم الله شرب الدم أو دخوله بأى شكل من الأشكال إلى الغذاء الآدمى و هذا قبل أن يخترع الميكروسكوب و قبل أن يعرف الإنسان أي شئ عن الجراثيم و الميكروبات

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاء مَا يَحْكُمُونَ} (العنكبوت 4)0

هل الإسلام يظلم الخنازير؟يقول تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ} (البقرة 173)0

تشتعل الدنيا كل حين بضجيج هائل و اعتراضات صاخبة تنطلق من كل حدب و صوب و سؤال مستمر ينطلق بكل اللغات:-لماذا يحرم المسلمون أكل الخنزير ذاك الحيوان المظلوم ؟

و لماذا تنفرد عقيدتهم بتحريم أكل ذاك الحيوان اللطيف ؟

و لا يفهم هؤلاء المتسائلون أن المسلم إنما يقول سمعا و طاعة لأوامر الله حتى لو لم تتكشف له الحكمة الإلهية من وراء الأمر أو النهي

{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}(النور 51)0

لقد شهد مثلا دكتور/" فيليب تومز" خبير أمراض الدم بلندن ـ

و هو بالمناسبة غير مسلم ـ أن الخنزير ينقل صفاته لكل من يتناول لحمه و يسبب مع الوقت أمراضا عقلية و بدنية و بالأخص أمراضا تناسلية مدمرة

و نحن نعرض شهادته لنؤكد أن القرآن الكريم بمنهجه الطبى الذى يمنع المرض و يقطع الطريق عليه بمنع أسبابه هو خير ألف مرة من كل دعاوى الغرب و ابتكاراتهم في عالم العلاج الذي دائما ما يتطلب الكثير من المال دون ضمان كاف بإيجابية النتائج

و مهما حاول الغرب تجميل صورة الخنزير بإمداد المزارع التى يربى فيها بأحدث سبل العناية و النظافة باستخدام التقنيات الحديثة فإن كل هذا لن ينفي أبدا الحقائق الدامغة التي اكتشفها علماؤهم أنفسهم عن الديدان و الأمراض التي يحتويها جسم الخنزير دون غيره من الحيوانات مهما ألبسوه تاج الرفعة و الشرف{ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(المائدة 3)0

أهم الأمراض والديدان التي تتواجد فى جسم الخنزير:-

1- مرض"الشعرية أو الترخينية" :-و تسببه ديدان تعيش فى لحم الخنزير و هذه الديدان تستقر في عضلات آكل لحم الخنزير و على الأخص عضلات التنفس كذلك فى المخ أو العين أو القلب أو الرئة أو الكبد

و فى أى مكان تستقر فيه لها أثر مروع فمثلا في المخ تصيب الإنسان بالجنون أو الشلل
و فى العين تفسد الرؤية تماما و تصيب بالعمى و إذا وصلت إلى جدار القلب فإنها تتسبب في ذبحة قلبية.
2-الإلتهاب السحائى المخى و تسمم الدم:-
و ينتج عن الإصابة بالميكروب السبحى الخنزيرى و قد كان سبب هذا المرض مجهولا تماما حتى تم اكتشاف هذا الميكروب سنة 1968 و عرفت البشرية السبب في الوفيات الغامضة التى راحت ضحايا الخنزير فى هولندا و الدانمارك و قد تبين أن هذا الميكروب يحدث التهابا فى الأغشية الملاصقة للمخ
و يفرز سموما بتركيز عالي في دم المصاب تؤدى إلى موته و الذين يفلتون من الموت يصابون بعد علاجٍ مضنٍ بصمم دائم و فقدان للتوازن نتيجة خلل فى خلايا المخ أحدثه هذا الميكروب الخطير.
3-الدودة الشريطية :- تنتقل هذه الدودة من الحيوان إلى أمعاء الإنسان و يبلغ طولها بضعة أمتار
و لرأسها ما بين (22 - 32) خطافا تتثبت به فى جدار الأمعاء
و تتسرب دائما يرقاتها إلى مجرى الدم لتستقر في أحد أعضاء الجسم كالقلب أو الكبد أو العين ثم تتحوصل فيه فإذا استقرت في المخ و هو مكانها المفضل فإنها تتسبب فى حدوث مرض الصرع
و هذا هو الفارق بين خطر الدودة الشريطية التي تنتقل من الخنزير إلى الإنسان و الأخرى التى تنتقل من حيوان آخر كالبقرة مثلا فدودتها لا تمتلك هذه القدرة الرهيبة على السياحة و التجوال بيرقاتها فى جسم الإنسان كي تدمره في عنف عجيب.
4-الدوسنتاريا الأميبية الخنزيرية :-
لكون الخنزير يعيش على الجيفة و القاذورات و لا يقلع عن ذلك أبدا و أيضا لكونه يأكل براز الحيوانات الأخرى التي تعيش معه حتى لو توافر له الغذاء الأنسب من هذا فإنه يكون مزرعة لمرض الدوسنتاريا الأميبية و بالتالى ينتقل المرض منه إلى الإنسان و الدوسنتاريا الأميبية الخنزيرية هى أخطر أنواع الدوسنتاريا على الإطلاق.
5-الدوسنتاريا الخنزيرية :-
هي أكبر الميكروبات ذات الخلية الواحدة التي تصيب الإنسان و يوجد هذا الميكروب في براز الخنزير و ينتقل إلى طعام الإنسان بطرق عديدة و بإستقراره في الأمعاء الغليظة يحدث إسهالا و دوسنتاريا مصحوبة بالمخاط و الدم و قد يحدث التهابا بالرئة و بعضلة القلب و لو أنه ثقب القولون فإنه يؤدي للوفاة.
6-أنفلونزا الخنزير:-
ينتشر هذا المرض على هيئة وباء يصيب الملايين من الناس و تكون المضاعفات خطيرة حينما يحدث التهاب بالمخ و تضخم في القلب و قد يليه هبوط مفاجئ فى وظيفته و كان أخطر وباء أصاب العالم من هذه الأنفلونزا الخطيرة عام 1918 حيث قتل مئات الآلاف من البشر
و قد خافت أمريكا فى عام 1977 من هذا الوباء الذي أطل برأسه مرة أخرى فاجتمعت اللجان برئاسة الرئيس الأمريكي الذي أصدر أمرا بتطعيم كل أمريكي بالمصل الوقائي من هذا المرض الخنزيرى القاتل
هل تودون أن تعرفوا كم تكلف هذا البرنامج؟
لقد تكلف فقط مائة وخمسة و ثلاثون مليونا من الدولارات! و لا تعليق.
7- دودة المعدة القرحية :-
هي دودة تصيب الخنزير أولا ثم تنتقل إلى الإنسان آكل الخنزير و تصيب الأطفال بالذات

و تتسبب في حدوث إسهال و التهاب بالمصران الغليظ و تسبب آلاما شديدة لا قبل للكبار بها فما بالكم بالأطفال.

8- أخطار أخرى تترصد آكل لحم الخنزير:-

وقد ذكرت أبحاث علمية حديثة أن جسم الخنزير يحتوي على كميات كبيرة من حامض البوليك و لا يتخلص إلا من القليل منه بنسبة لا تتعدى 3% بينما الإنسان يتخلص من نسبة 90 % من نفس الحامض و نظرا لاحتواء لحم الخنزير على هذه النسبة المرتفعة من حامض البوليك فإن آكلى لحمه يشكون عادة من آلام روماتيزمية و التهابات المفاصل المختلفة

كما ثبت بالتحليل أن دهن الخنزير يحتوى على نسبة كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة و أن نسبة الكوليسترول في لحمه تقريبا خمسة عشر ضعفا عنها فى البقر

و معلوم أن هذه المادة عندما تزيد عن معدلها الطبيعى فإنها تترسب فى الشرايين لاسيما شرايين القلب و تسبب تصلبها و تسبب كذلك ارتفاعا في ضغط الدم و هو السبب الرئيسى لمعظم حالات الذبحة القلبية.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ)الأيـــــة

*مسلم (277) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ:
«صَلَّى الصَّلَوَاتِ يَوْمَ الْفَتْحِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ وَ مَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ»
فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ صَنَعْتَ الْيَوْمَ شَيْئًا لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ قَالَ: «عَمْدًا صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ»

*البخارى 214 -عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ:-كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ» قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: يُجْزِئُ أَحَدَنَا الوُضُوءُ مَا لَمْ يُحْدِثْ(يكفيه الوضوء لجميع الصلوات)

هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة نذكر منها ما يسره الله و سهله:-

1- أن هذه المذكورات فيها امتثالها و العمل بها من لوازم الإيمان الذى لا يتم إلا به لأنه صَدَّرها بقوله :-

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ)إلى آخرها. أى:-يا أيها الذين آمنوا اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم.

2- الأمر بالقيام بالصلاة لقوله:-(إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ)

3- الأمر بالنية للصلاة لقوله:-(إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ)بقصدها و نيتها.

4- اشتراط الطهارة لصحة الصلاة لأن الله أمر بها عند القيام إليها و الأصل فى الأمر الوجوب.

5- أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت و إنما تجب عند إرادة الصلاة.

6- أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة من الفرض و النفل و فرض الكفاية و صلاة الجنازة تشترط له الطهارة

حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء كسجود التلاوة و الشكر.

﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ ﴾

7–الأمر بغسل الوجه و هو:–ما تحصل به المواجهة من منابت شعر الرأس المعتاد إلى ما انحدر من اللحيين و الذقن طولا. و من الأذن إلى الأذن عرضا.

و يدخل فيه المضمضة و الاستنشاق بالسنة و يدخل فيه الشعور التى فيه.

*لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة و إن كانت كثيفة اكتفى بظاهرها.

*وَ لَا اعْتِبَارَ بالصَّلع وَ لَا بالغَمَم(الغَمَمُ: سَيَلانُ الشَّعَرِ حتى تَضيقَ الجَبْهَة و القفا يُقالُ: هو أغَمُّ الوَجْهِ و القَفا)

*وَ يُسْتَحَبُّ قَبْلَ غَسْلِ الْوَجْهِ أَنْ يُذْكَرَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى وُضُوئِهِ لِمَا ورد عَنِ النَّبِيِّ ﷺفي:-

أبي داود101-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ وَ لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ»

وَ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَغْسِلَ كَفَّيْهِ قَبْلَ إِدْخَالِهِمَا فِي الْإِنَاءِ

*وَ يَتَأَكَّدُ ذَلِكَ عِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ:-لِمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:-

إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يُدخل يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ قَبْلَ أَنْ يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا فَإِنَّ أحدكم لَا يَدْرِى أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ

*و ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقال:-مَنْ تَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ

وَ فِي رِوَايَةٍ:مسلم (237) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:-وَإِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ فِي أَنْفِهِ مَاءً ثُمَّ لِيَنْتَثِرْ»

وَ الِانْتِثَارُ: هُوَ الْمُبَالَغَةُ فِي الِاسْتِنْشَاقِ.أو هو إخراج الماء بعد الاستنشاق مع ما فى الأنف من مخاط و شبهه

*البخارى140 عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ «تَوَضَّأَ فَغَسَلَ وَجْهَهُ أَخَذَ غَرْفَةً(بفتح الغين مصدر يعنى الاغتراف واسم مرة وبضم الغين بمعنى المغروف وهى ملء الكف) مِنْ مَاءٍ فَمَضْمَضَ(من المضمضة وهي تحريك الماء في الفم وإدارته فيه ثم مجه وإلقاؤه)بِهَا وَ اسْتَنْشَقَ(من الاستنشاق وهى إدخال الماء في الأنف وجذبه بالنفس إلى أعلاه)ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ بِهَا هَكَذَا أَضَافَهَا إِلَى يَدِهِ الْأُخْرَى فَغَسَلَ بِهِمَا وَجْهَهُ ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ الْيُمْنَى ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَغَسَلَ بِهَا يَدَهُ الْيُسْرَى ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَرَشَّ عَلَى رِجْلِهِ الْيُمْنَى حَتَّى غَسَلَهَا ثُمَّ أَخَذَ غَرْفَةً أُخْرَى فَغَسَلَ بِهَا رِجْلَهُ يَعْنِي الْيُسْرَى» ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَتَوَضَّأُ

8–الأمر بغسل اليدين و أن حدهما إلى المرفقين و« إلى » كما قال جمهور المفسرين بمعنى«مع» كقوله تعالى:–﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾النساء: ٢و لأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق.

*وَ يُسْتَحَبُّ لِلْمُتَوَضِّئِ أَنْ يَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ لِيَغْسِلَهُ مَعَ ذِرَاعَيْهِ لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ (136) وَ مُسْلِمٌ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-إِنَّ أُمَّتِى يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّته فَلْيَفْعَلْ".

وَ فِي مُسْلِمٍ(250):-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ خَلِيلِى ﷺيَقُولُ:-تَبْلُغُ الحِلْية مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ

﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ﴾

*البخارى185 - عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ وَ هُوَ جَدُّ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تُرِيَنِى

كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ: نَعَمْ فَدَعَا بِمَاءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ مَضْمَضَ وَ اسْتَنْثَرَ ثَلاَثًا ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثًا ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ

ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ بِيَدَيْهِ فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَ أَدْبَرَ بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ حَتَّى ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ ثُمَّ رَدَّهُمَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ "

*البخارى164 عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِوَضُوءٍ فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الوَضُوءِ ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثًا وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلاَثًا ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلاَثًا ثُمَّ قَالَ:-رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا وَ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»

9- الأمر بمسح الرأس.

10- أنه يجب مسح جميعه لأن الباء ليست للتبعيض و إنما هي للملاصقة و أنه يعم المسح بجميع الرأس.

11- أنه يكفي المسح كيفما كان بيديه أو إحداهما أو خرقة أو خشبة أو نحوهما لأن الله أطلق المسح و لم يقيده بصفة فدل ذلك على إطلاقه.

12- أن الواجب المسح. فلو غسل رأسه و لم يمر يده عليه لم يكف لأنه لم يأت بما أمر الله به.

(وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ)

*البخارى 163 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:-تَخَلَّفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنَّا فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا فَأَدْرَكَنَا وَ قَدْ أَرْهَقْنَا العَصْرَ(أدركناه وقد ضاق وقته) فَجَعَلْنَا نَتَوَضَّأُ وَ نَمْسَحُ(نغسل غسلا خفيفا كأنه مسح وربما بقيت لمعة من الرجل لم يمسها الماء لعجلتنا) عَلَى أَرْجُلِنَا فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:-«وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ»(جمع عقب وهو مؤخرة القدم وخصت بالذكر لأنها لم يغلب التقصير في غسلها) مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا

*و قد ثبت أن النبي ﷺ مسح علي الخفين بعد نزول هذه الآية الكريمة

*مسلم(272) عَنْ هَمَّامٍ قَالَ: بَالَ جَرِيرٌ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَ مَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ فَقِيلَ:-تَفْعَلُ هَذَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَالَ ثُمَّ تَوَضَّأَ وَ مَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ».

قَالَ الْأَعْمَشُ: قَالَ إِبْرَاهِيمُ:-«كَانَ يُعْجِبُهُمْ هَذَا الْحَدِيثُ لِأَنَّ إِسْلَامَ جَرِيرٍ كَانَ بَعْدَ نُزُولِ الْمَائِدَةِ».

*وَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ أَنَّ الْكَعْبَيْنِ هُمَا:-الْعَظْمَانِ النَّاتِئَانِ عِنْدَ مَفْصِلِ السَّاقِ وَ الْقَدَمِ.

*قَالَ الشَّافِعِيُّ:-لَمْ أَعْلَمْ مُخَالِفًا فِي أَنَّ الْكَعْبَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فِي الْوُضُوءِ هُمَا النَّاتِئَانِ وَ هُمَا مُجْمَعُ مَفْصِلِ السَّاقِ وَ الْقَدَمِ. هَذَا لَفْظُهُ.

13- الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين و يقال فيهما ما يقال في اليدين.

14- فيها الرد على الرافضة على قراءة الجمهور بالنصب و أنه لا يجوز مسحهما ما دامتا مكشوفتين.

15- فيه الإشارة إلى مسح الخفين على قراءة الجر في (وأرجلكم)

و تكون كل من القراءتين محمولة على معنى فعلى قراءة النصب فيها غسلهما إن كانتا مكشوفتين

و على قراءة الجر فيها مسحهما إذا كانتا مستورتين بالخف.

16- الأمر بالترتيب في الوضوء لأن الله تعالى ذكرها مرتبة.و لأنه أدخل ممسوحا –و هو الرأس–بين مغسولين و لا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب.

17–أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية.

و أما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق و الوجه أو بين اليمنى و اليسرى من اليدين و الرجلين فإن ذلك غير واجب بل يستحب تقديم المضمضة و الاستنشاق على غسل الوجه و تقديم اليمنى على اليسرى من اليدين و الرجلين و تقديم مسح الرأس على مسح الأذنين.

18- الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة لتوجد صورة المأمور به.

19–الأمر بالغسل من الجنابة.

20–أنه يجب تعميم الغسل للبدن لأن الله أضاف التطهر للبدن و لم يخصصه بشيء دون شيء.

21–الأمر بغسل ظاهر الشعر و باطنه في الجنابة.

22- أنه يندرج الحدث الأصغر فى الحدث الأكبر و يكفى من هما عليه أن ينوى ثم يعمم بدنه لأن الله لم يذكر إلا التطهر و لم يذكر أنه يعيد الوضوء.

(وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ)

23–أن الجنب يصدق على من أنزل المنى يقظة أو مناما أو جامع و لو لم ينزل.

24–أن من ذكر أنه احتلم و لم يجد بللا فإنه لا غسل عليه لأنه لم تتحقق منه الجنابة.

25- ذكر مِنَّة الله تعالى على العباد بمشروعية التيمم.

(وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ)

26- أن من أسباب جواز التيمم وجود المرض الذى يضره غسله بالماء فيجوز له التيمم.

(أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ)

27- أن من جملة أسباب جوازه السفر و الإتيان من البول و الغائط إذا عدم الماء فالمرض يجوز التيمم مع وجود الماء لحصول التضرر به و باقيها يجوزه العدم للماء و لو كان في الحضر.

28–أن الخارج من السبيلين من بول و غائط ينقض الوضوء.

29–استدل بها من قال:لا ينقض الوضوء إلا هذان الأمران فلا ينتقض بلمس الفرج و لا بغيره.

30- استحباب التكنية عما يستقذر التلفظ به لقوله تعالى:

(أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ)

31- أن لمس المرأة بلذة و شهوة ناقض للوضوء.

﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾أو جامع زوجته

32-اشتراط عدم الماء لصحة التيمم.

33-أن مع وجود الماء و لو في الصلاة يبطل التيمم لأن الله إنما أباحه مع عدم الماء.

34-أنه إذا دخل الوقت و ليس معه ماء فإنه يلزمه طلبه فى رحله و فيما قرب منه لأنه لا يقال « لم يجد » لمن لم يطلب.

35-أن من وجد ماء لا يكفي بعض طهارته فإنه يلزمه استعماله ثم يتيمم بعد ذلك.

36-أن الماء المتغير بالطاهرات مقدم على التيمم أى:-يكون طهورا لأن الماء المتغير ماء فيدخل في قوله:

﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ ﴾

37-أنه لا بد من نية التيمم لقوله: ﴿فَتَيَمَّمُواْ ﴾أى: اقصدوا.

*الصحيح المسند من أسباب النزول:البخارى334 عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ ﷺقَالَتْ:-
خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ أَوْ بِذَاتِ الجَيْشِ انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي
فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَلَى التِمَاسِهِ وَ أَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَ لَيْسُوا عَلَى مَاءٍ فَأَتَى النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ
فَقَالُوا: أَ لَاتَرَى مَا صَنَعَتْ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺوَ النَّاسِ وَ لَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَ لَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَجَاءَ
أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺوَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَى فَخِذِى قَدْ نَامَ فَقَالَ:-
حَبَسْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺوَ النَّاسَ وَ لَيْسُوا عَلَى مَاءٍ وَ لَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَاتَبَنِى أَبُو بَكْرٍ
وَ قَالَ:مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ وَ جَعَلَ يَطْعُنُنِى بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي فَلاَ يَمْنَعُنِى مِنَ التَّحَرُّكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺعَلَى فَخِذِى«فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺحِينَ أَصْبَحَ عَلَى غَيْرِ مَاءٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ فَتَيَمَّمُوا»
فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ:-مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ:-
فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِى كُنْتُ عَلَيْهِ فَأَصَبْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ

﴿صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾

38- أنه يكفى التيمم بكل ما تصاعد على وجه الأرض من تراب و غيره. فيكون على هذا

﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ ﴾

إما من باب التغليب و أن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه و يعلق بالوجه و اليدين

و إما أن يكون إرشادا للأفضل و أنه إذا أمكن التراب الذى فيه غبار فهو أولى.

39- أنه لا يصح التيمم بالتراب النجس لأنه لا يكون طيبا بل خبيثا.

40- أنه يمسح في التيمم الوجه و اليدان فقط دون بقية الأعضاء.

41-قوله﴿بِوُجُوهِكُمۡ ﴾شامل لجميع الوجه و أنه يعممه بالمسح إلا أنه معفو عن إدخال التراب فى الفم و الأنف و فيما تحت الشعور و لو خفيفة.

42- أن اليدين تمسحان إلى الكوعين فقط لأن اليدين عند الإطلاق كذلك.

فلو كان يشترط إيصال المسح إلى الذراعين لقيده الله بذلك كما قيده فى الوضوء.

43-أن الآية عامة فى جواز التيمم لجميع الأحداث كلها الحدث الأكبر و الأصغر بل و لنجاسة البدن لأن الله جعلها بدلا عن طهارة الماء و أطلق في الآية فلم يقيد

و قد يقال أن نجاسة البدن لا تدخل في حكم التيمم لأن السياق فى الأحداث و هو قول جمهور العلماء .

44-أن محل التيمم فى الحدث الأصغر و الأكبر واحد و هو الوجه و اليدان

45-أنه لو نوى مَنْ عليه حدثان التيمم عنهما فإنه يجزئ أخذا من عموم الآية و إطلاقها.

46-أنه يكفى المسح بأى شيء كان بيده أو غيرها لأن الله قال:-(فامسحوا)و لم يذكر الممسوح به فدل على جوازه بكل شيء.

47-اشتراط الترتيب فى طهارة التيمم كما يشترط ذلك فى الوضوء و لأن الله بدأ بمسح الوجه قبل مسح اليدين.

48-أن طهارة الظاهر بالماء و التراب تكميل لطهارة الباطن بالتوحيد و التوبة النصوح.

49-أن طهارة التيمم و إن لم يكن فيها نظافة و طهارة تدرك بالحس و المشاهدة فإن فيها طهارة معنوية ناشئة عن امتثال أمر الله تعالى.

(مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ)

50-أن الله تعالى - فيما شرعه لنا من الأحكام- لم يجعل علينا في ذلك من حرج و لا مشقة و لا عسر

(وَلَٰكِن يُرِيدُ)و إنما هو رحمة منه بعباده(لِيُطَهِّرَكُمۡ)

(وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ)بهدايتكم إلى الإسلام وتعليمكم شرائعه فيعدكم بذلك لشكره و هو:-
طاعته بالعمل بما جاء به الإسلام من :-الأعمال الباطنة و الظاهرة

و هو معنى قوله: (لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ)

*مسلم(234)عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ:-كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ فَجَاءَتْ نَوْبَتِى فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺقَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِه:-
مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَ وَجْهِهِ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» قَالَ فَقُلْتُ: مَا أَجْوَدَ هَذِهِ فَإِذَا قَائِلٌ بَيْنَ يَدَىَّ يَقُولُ:-
الَّتِى قَبْلَهَا أَجْوَدُ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ قَالَ: إِنِّى قَدْ رَأَيْتُكَ جِئْتَ آنِفًا قَالَ:-
مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ:-
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَ رَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ
*مسلم (244) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:-

«إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ-أَوِ الْمُؤْمِنُ-فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ-فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا(اكتسبتها) يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ-

فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ(فيه نزع الخافض أي مشت لها أو فيها رجلاه)مَعَ الْمَاءِ-أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ-حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»

*مسلم (223)عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ:-قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ

*مسلم (224)عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ:-دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ يَعُودُهُ وَ هُوَ مَرِيضٌ فَقَالَ:- أَلَا تَدْعُو اللهَ لِي يَا ابْنَ عُمَرَ؟

قَالَ:-إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:-

لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ وَ لَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ(الغلول الخيانة وأصله السرقة من مال الغنيمة قبل القسمة)وَ كُنْتَ عَلَى الْبَصْرَةِ»

فمعناه إنك لست بسالم من الغلول فقد كنت واليا على البصرة وتعلقت بك تبعات من حقوق الله تعالى وحقوق العباد ولا يقبل الدعاء لمن هذه الصفة كما لا تقبل الصلاة والصدقة إلا من متصون والظاهر والله أعلم أن ابن عمر قصد زجر ابن عامر وحثه على التوبة وتحريضه على الإقلاع عن المخالفات ولم يرد القطع حقيقة بأن الدعاء للفساق لا ينفع فلم يزل النبى ﷺ والسلف والخلف يدعون للكفار وأصحاب المعاصى بالهداية و التوبة

51–أنه ينبغى للعبد أن يتدبر الحِكَم و الأسرار فى شرائع الله فى الطهارة و غيرها ليزداد معرفة وعلما و يزداد شكرا لله و محبة له على ما شرع من الأحكام التى توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة 6

(وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ)

يأمر تعالى عباده بذكر نعمه الدينية و الدنيوية بقلوبهم و ألسنتهم.

فإن فى استدامة ذكرها داعيا لشكر الله تعالى و محبته و امتلاء القلب من إحسانه.

و فيه زوال للعجب من النفس بالنعم الدينية و زيادة لفضل الله و إحسانه.

(و)اذكروا (وَمِيثَـٰقَهُ)عهده(ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ)الذى أخذه عليكم.

و ليس المراد بذلك أنهم لفظوا و نطقوا بالعهد و الميثاق و إنما المراد بذلك أنهم بإيمانهم بالله و رسوله قد التزموا طاعتهما

التذكير بنعم الله و المواثيق و الامر بالقسط فى الحكم و الشهادة 7-11

*البخارى 7055 عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ:-دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ وَ هُوَ مَرِيضٌ قُلْنَا:- أَصْلَحَكَ اللَّهُ(كلمة اعتادوا أن يقولوها عند الطلب أو المراد الدعاء له بإصلاح جسمه ليعافى من مرضه)

حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:-دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ

7056-فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا(اشترط علينا):-

«أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَ الطَّاعَةِ(لله تعالى ورسوله)فِي مَنْشَطِنَا(حالة نشاطنا)وَ مَكْرَهِنَا(فى الأشياء التي نكرهها وتشق علينا)

وَ عُسْرِنَا وَ يُسْرِنَا وَ أَثَرَةً عَلَيْنَا (استئثار الأمراء بحظوظهم واختصاصهم إياها بأنفسهم أى ولو منعنا حقوقنا)

وَ أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ(الملك والإمارة)أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا(منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فتكون المنازعة بالإنكار عليهم. أو كفرا ظاهرا فينازعون بالقتال والخروج عليهم وخلعهم) بَوَاحًا(ظاهرا وباديا) عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ(نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل)

(وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ)الحديد: ٨

و لهذا قال: (إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا)أى: سمعنا ما دعوتنا به من آياتك القرآنية و الكونية سمع:–

1-فهم

2-و إذعان

3-و انقياد.

(وَأَطَعۡنَاۖ)ما أمرتنا به بالامتثال و ما نهيتنا عنه بالاجتناب.

و هذا شامل لجميع شرائع الدين الظاهرة و الباطنة. و أن المؤمنين يذكرون فى ذلك عهد الله و ميثاقه عليهم

و تكون منهم على بال و يحرصون على أداء ما أُمِرُوا به كاملا غير ناقص.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ)فى جميع أحوالكم

(إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)بما تنطوى عليه من الأفكار و الأسرار و الخواطر.

فاحذروا أن يطلع من قلوبكم على أمر لا يرضاه أو يصدر منكم ما يكرهه و اعمروا قلوبكم بمعرفته و محبته

و النصح لعباده.

فإنكم – إن كنتم كذلك– غفر لكم السيئات و ضاعف لكم الحسنات لعلمه بصلاح قلوبكم 7

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)بما أُمِرُوا بالإيمان به قوموا بلازم إيمانكم بـأن:–

(كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ)بالعدل لا بالجور

بأن تنشط للقيام بالقسط حركاتكم الظاهرة و الباطنة. و أن يكون ذلك القيام لله وحده لا لغرض من الأغراض

الدنيوية

و أن تكونوا قاصدين للقسط الذى هو العدل لا الإفراط و لا التفريط فى أقوالكم و لا أفعالكم

و قوموا بذلك على القريب و البعيد و الصديق و العدو.

(وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ)يحملنكم (شَنَـَٔانُ)بغض(قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ)

كما يفعله من لا عدل عنده و لا قسط بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا عليه و كما تشهدون على عدوكم

فاشهدوا له و لو كان كافرا أو مبتدعا

فإنه يجب العدل فيه و قبول ما يأتى به من الحق لأنه حق لا لأنه قاله و لا يرد الحق لأجل قوله فإن هذا ظلم

للحق.

(ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ)

أى: كلما حرصتم على العدل و اجتهدتم فى العمل به كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم فإن تم العدل كملت

التقوى.

(إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ)فمجازيكم بأعمالكم خيرها و شرها صغيرها و كبيرها جزاء عاجلا و آجلا 8

(وَعَدَ ٱللَّهُ)الذى لا يخلف الميعاد و هو أصدق القائلين–المؤمنين به و بكتبه و رسله و اليوم الآخر

(وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ)من واجبات و مستحبات–

(لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)بالمغفرة لذنوبهم بالعفو عنها و عن عواقبها و بالأجر العظيم الذي لا يعلم عظمه إلا الله تعالى. (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) 9

الاعجاز فى الوضوء:–

المضمضة:-

تخلّص المضمضة تجويفَ الفم من الأعداد الهائلة من الكائنات الحية المجهرية التى تتراكم فيه
و يزداد ذلك الأثر المرجو بالدلك الخفيف للثة و الأسنان باستخدام أصابع اليد.
يكفى أن نعرف أنّ عدد الجراثيم الموجودة فى سائل اللعاب يساوى 100 مليون جرثومة فى كل سنتيمتر مربع واحد
كما أنّ هناك أعداداً هائلة أخرى من الطفيليات والفطريات والكائنات الحية المجهرية الأخرى التى تتغذى على بقايا الطعام الموجودة بين الأسنان و المضمضة كفيلة بإنقاص تلك الأعداد بصورة ملحوظة
و بخاصة إن تكرر هذا الفعل ثلاث مرات لكل وضوء في الأوقات الخمسة للصلاة فى اليوم والليلة.
و قد رأينا أثر السواك قبل قليل
و ما أعظم الأثر حين يتآزر عمل السواك المطهر مع تأثير المضمضة و إحداثها لعمليتى التنظيف والتطهير المطلوبتين.

استنشاق الماء:-

يعدّ المخاط و ما شابهه من مفرزات تتراكم فى نسيج الأنف الداخلى وسطاً نموذجياً لنمو الجراثيم
و الأحياء المجهرية الأخرى التي قد تسبّب في العديدَ من الأمراض الالتهابية فى حال تراكم المخاط و عدم إزالته و تنظيفه و الاستنشاق عامل هام يخفّف تراكم المخاط
و بالتالى فإنه يحدّ من حدوث تلك الالتهابات.و لاستنشاق الماء أيضاً دور هام فى إزالة ذرات الغبار التي قد تعلَق في تجويف الأنف الداخلى و لهذا دور فاعل فى تقليل تفاعلات الحساسية و نوبات الربو
و التهابات الجهاز التنفسى العلوى.تتكفّل عملية الاستنشاق أيضاً بترطيب جو الأنف الداخلى
و هذا يعني المحافظة على حيوية الأغشية المخاطية المبطنة لتجويف الأنف
و على العكس من ذلك فإنّ جفاف بيئة الأنف الداخلية يؤدّى إلى تشقّقها و هذا يؤدّى بدوره إلى حدوث الألم و ظهور التخريش.وجدَ الباحثون أنّه بعد المرة الثالثة للاستنشاق
فإنه لا يوجد نمو ملاحظ للجراثيم ويصبح جوف الأنف خالياً منها بصورة تامة أو شبه تامة
و سبب ذلك هو الإزاحة الميكانيكية لما يتراكم من الجراثيم أولاً بأول و يضمن تكرار الحدث مع كل وضوء مزيداً من تناقص أعداد الجراثيم.

قص الأظافر:

يزداد تكاثر الجراثيم على ما يطول من الأظافر و هذا تناسب طردى فكلّما زاد طول الظفر زاد نمو الجراثيم و تراكمها ضمن نسيجه.
و يزيد الطين بلّة و الأمر ضرراً ما قد تفعله بعض الفتيات أو السيدات من صبغ للأظافر الطويلة بما يعرف بمادة المناكير التى قد ثبتَ ضررها لما تحويه من مواد كيميائية مهيجة و مخربة لنسيج الظفر الطبيعى
و يلاحظ من اعتاد وضع مثل هذه المواد ضعف قوة الظفر وذهاب بريقه الطبيعى و كثرة تعرضه للكسر.
تظهر ما يعرف بالجيوب الظفرية بين الزوائد و نهاية الأنامل تحت نسيج الظفر الطويل
و هي مكان لتجمع الأوساخ و الجراثيم و مسبّبات العدوى مثل بيض الطفيليات
و بذلك تكون هذه الأظافر مصدراً للعدوى في الأمراض التى تنقل عن طريق الفم كالديدان المعوية و الزحار و التهاب الأمعاء.
و قد يسبّب الظفر الطويل أذيات بسبب نهايته الحادة و المدببة و يحدث ذلك أثناء حك الجلد أو العين مثلاً.

هناك بعض الأمراض التى يكثر حدوثها في الأظافر الطويلة مقارنة مع الأظافر الطبيعية :-

1-و منها: خلخلة الأظافر

2-و زيادة تسمك الظفر Onchogryphosisو هنا يصبح الظفر شديد السماكة مما يعرضه لسهولة الكسر نتيجة أى رض يصاب به حتى لو كان الرض طفيفاً و يصاحب ذلك عادة تشوه فى شكل الظفر.

3-و من الأمراض الأخرى المذكورة في هذا المجال: التهاب الأظافر Onychia

4-و مرض تساقط الأظافر Oncholysisو هنا ينفصل الظفر من سريره أو ينكسر جزء منه ليتساقط لاحقاً و يكثر حدوث ذلك في الالتهابات الفطرية التى تنتج عن تكاثر الفطريات تحت الظفر الطويل.

غسل البراجم:-البراجم لغة هى عقد الأصابع فى ظهر الكف و يدخل فيها كذلك مفاصل الأصابع
و يؤدي غسل هذه البراجم المستمر أثناء عملية الوضوء المتكررة إلى إزالة المستعمرات الجرثومية التى تتّخذ من ثنايا الجلد فى هذه الأماكن كهوفاً لها و أخاديد تنمو خلالها و تتكاثر
و يصل عدد الجراثيم والفطريات التي تعيش بين هذه الثنايا إلى عدة ملايين لكل سنتيمتر مربع.
تتكفّل سنّة غسل البراجم بإنقاص أعداد الكائنات الحية المجهرية بصورة ملحوظة
و بخاصة لو تكرّر الفعل عدة مرات يومياً كما يحدث مع تكرار عملية الوضوء.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾

(وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ)الدالة على الحق المبين فكذبوا بها بعد ما أبانت الحقائق.

(أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ)الملازمون لها ملازمة الصاحب لصاحبه 10

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ)

*يُذَكِّر تعالى عباده المؤمنين بنعمه العظيمة و يحثهم على تذكرها بالقلب و اللسان

*البخارى 4139 عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ:-

غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةَ نَجْدٍ فَلَمَّا أَدْرَكَتْهُ القَائِلَةُ و هُوَ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ فَنَزَلَ تَحْتَ شَجَرَةٍ وَ اسْتَظَلَّ بِهَا وَ عَلَّقَ سَيْفَهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الشَّجَرِ يَسْتَظِلُّونَ وَ بَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجِئْنَا فَإِذَا أَعْرَابِيٌّ قَاعِدٌ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ:-إِنَّ هَذَا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاخْتَرَطَ سَيْفِي فَاسْتَيْقَظْتُ وَ هُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي مُخْتَرِطٌ صَلْتًا قَالَ:-مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ فَشَامَهُ ثُمَّ قَعَدَ فَهُوَ هَذَا "قَالَ:وَ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ)

و أنهم – كما أنهم يعدون قتلهم لأعدائهم و أخذ أموالهم و بلادهم و سبيهم نعمةً –

(فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ)

فليعدوا أيضا إنعامه عليهم بكف أيديهم عنهم و رد كيدهم فى نحورهم نعمة. فإنهم الأعداء قد هموا بأمر و ظنوا أنهم قادرون عليه. فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم فهو نصر من الله لعباده المؤمنين

ينبغى لهم أن:-1-يشكروا الله على ذلك 2-و يعبدوه و يذكروه

و هذا يشمل كل من هَمَّ بالمؤمنين بشر من كافر و منافق و باغ كف الله شره عن المسلمين فإنه داخل فى هذه الآية.

*ثم أمرهم بما يستعينون به على الانتصار على عدوهم و على جميع أمورهم فقال:–

(وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ)يعتمدوا عليه فى:–

1–جلب مصالحهم الدينية و الدنيوية

2–و تبرؤوا من حولهم و قوتهم و يثقوا بالله تعالى في حصول ما يحبون.

و على حسب إيمان العبد يكون توكله و هو من واجبات القلب المتفق عليها 11

*يخبر تعالى أنه أخذ على بني إسرائيل الميثاق الثقيل المؤكد و ذكر صفة الميثاق و أجرهم إن قاموا بهو إثمهم إن لم يقوموا به ثم ذكر أنهم ما قاموا به وذكر ما عاقبهم به فقال:–

(وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)عهدهم المؤكد الغليظ

بعض أحوال أهل الكتاب و تذكيرهم بالنبى و القرآن 12-19

(وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ)

رئيسا و عريفا على من تحته ليكون ناظرا عليهم حاثا لهم على القيام بما أُمِرُوا به مطالبا يدعوهم

(وَقَالَ ٱللَّهُ)للنقباء الذين تحملوا من الأعباء ما تحملوا:–

(إِنِّي مَعَكُمۡۖ)بالعون و النصر فإن المعونة بقدر المؤنة. ثم ذكر ما واثقهم عليه فقال:–

(لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ)ظاهرا و باطنا بالإتيان بما يلزم و ينبغى فيها و المداومة على ذلك

(وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ)لمستحقيها (وَءَامَنتُم بِرُسُلِي)جميعهم الذين أفضلهم و أكملهم محمدﷺ

(وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ)عظمتموهم و أديتم ما يجب لهم من الاحترام و الطاعة-نصرتموهم و وازرتموهم على الحق

(وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا)و هو الصدقة و الإحسان الصادر عن:–الصدق و الإخلاص و طيب المكسب

فإذا قمتم بذلك (لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ)

فجمع لهم بين حصول المحبوب بالجنة و ما فيها من النعيم و اندفاع المكروه بتكفير السيئات و دفع ما يترتب عليها من العقوبات.

(فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ)العهد و الميثاق المؤكد بالأيمان و الالتزامات المقرون بالترغيب بذكر ثوابه.

(فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ)عن عمد و علم فيستحق ما يستحقه الضالون من حرمان الثواب و حصول العقاب.

فكأنه قيل:– ليت شعرى ماذا فعلوا؟ و هل وفوا بما عاهدوا الله عليه أم نكثوا؟ 12

فبين أنهم نقضوا ذلك فقال:–(فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ)أى:–بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات:–

1–أنا(لَعَنَّٰهُمۡ)طردناهم و أبعدناهم من رحمتنا حيث أغلقوا على أنفسهم أبواب الرحمة و لم يقوموا بالعهد الذى أُخِذَ عليهم الذى هو سببها الأعظم.

2–(وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ)غليظة لا تجدى فيها المواعظ و لا تنفعها الآيات و النذر فلا يرغبهم تشويق و لا يزعجهم تخويف و هذا من أعظم العقوبات على العبد أن يكون قلبه بهذه الصفة التى لا يفيده الهدى و الخير إلا شرا.

3–أنهم(يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ)ابتلوا بالتغيير و التبديل فيجعلون للكلم الذى أراد الله معنى غير ما أراده الله و لا رسوله.

4–أنهم (وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ)و تركوا العمل به رغبة عنه فإنهم ذكروا بالتوراة و بما أنزل الله على موسى

*فنسوا حظا منه و هذا شامل لنسيان علمه←

و أنهم نسوه و ضاع عنهم و لم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم.

*و شامل لنسيان العمل الذى هو الترك ←فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به

و يستدل بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم بعض الذى قد ذكر في كتابهم أو وقع فى زمانهم أنه مما نسوه.

5–الخيانة المستمرة التى(وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ)لله و لعباده المؤمنين.

*و من أعظم الخيانة منهم:–

1–كتمهم عن من يعظهم و يحسن فيهم الظن الحق

2–و إبقاؤهم على كفرهم فهذه خيانة عظيمة. و هذه الخصال الذميمة حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم.

*فكل من لم يقم بما أمر الله بهو أخذ به عليه الالتزام ←

1–كان له نصيب من اللعنة و قسوة القلب و الابتلاء بتحريف الكلم

2–و أنه لا يوفق للصواب و نسيان حظ مما ذُكِّر به

3–و أنه لا بد أن يبتلى بالخيانة نسأل الله العافية.

و سمى الله تعالى ما ذكروا به حظا لأنه هو أعظم الحظوظ و ما عداه فإنما هى حظوظ دنيوية كما قال تعالى:–

(فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)

و قال فى الحظ النافع:-(وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)

(إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ)فإنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه فوفقهم و هداهم للصراط المستقيم.

(فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ)

لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى الذى يقتضى أن يعفى عنهم و اصفح فإن ذلك من الإحسان منسوخة بقوله(قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ) التوبة: ٢٩

(إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ)

و الإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

*و فى حق المخلوقين: بذل النفع الدينى و الدنيوى لهم -يعرى به:-الصفح عمن أساء إليك 13

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

و كما أخذنا على اليهود العهد و الميثاق فكذلك أخذنا على (وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ) لعيسى ابن مريم و زكوا أنفسهم بالإيمان بالله و رسله و ما جاءوا به فنقضوا العهد

(فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ)نسيانا علميا و عمليا

(فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ)سلطنا بعضهم على بعض(ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ)

و صار بينهم من الشرور و الإحن ما يقتضى بغض بعضهم بعضا و معاداة بعضهم بعضا إلى يوم القيامة

*و هذا أمر مشاهد فإن النصارى لم يزالوا و لا يزالون فى بغض و عداوة و شقاق.

*فَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ التَّبَاغُضَ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًاة وَ لَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ.
وَ كَذَلِكَ طَوَائِفُ النَّصَارَى عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهِمْ لَا يَزَالُونَ مُتَبَاغِضِينَ مُتَعَادِينَ يُكَفِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَ يَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَكُلُّ فِرْقَةٍ تُحَرِم الْأُخْرَى وَ لَا تَدَعُهَا تَلِجُ مَعْبَدَهَا
فَالْمَلَكِيَّةُ تُكَفِّرُ الْيَعْقُوبِيَّةَ وَ كَذَلِكَ الْآخَرُونَ
وَ كَذَلِكَ النُّسْطُورِيَّةُ وَ الْأَرْيُوسِيَّةُ كُلُّ طَائِفَةٍ تُكَفِّرُ الْأُخْرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ.

(وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ)فيعاقبهم عليه14

(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا)محمد ﷺ

(يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ)عن الناس مَا بَدَّلُوهُ وَ حَرَّفُوهُ وَ أَوَّلُوهُ وَ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ فِيهِ

(مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ)مما فى التوراة و الإنجيل

*لما ذكر تعالى ما أخذه الله على أهل الكتاب من اليهود و النصارى و أنهم نقضوا ذلك إلا قليلا منهم

←أمرهم جميعا أن يؤمنوا بمحمد ﷺو احتج عليهم بآية قاطعة دالة على صحة نبوته

و هي:–أنه بين لهم كثيرا مما يُخْفُون عن الناس حتى عن العوام من أهل ملتهم

فإذا كانوا هم المشار إليهم فى العلم و لا علم عند أحد في ذلك الوقت إلا ما عندهم

فالحريص على العلم لا سبيل له إلى إدراكه إلا منهم فإتيان الرسول ﷺبهذا القرآن العظيم الذي بيَّن به ما كانوا يتكاتمونه بينهم و هو أُمِّىّ لا يقرأ و لا يكتب–من أدل الدلائل على القطع برسالته

و ذلك مثل صفة محمد فى كتبهم و وجود البشائر به فى كتبهم و بيان آية الرجم و نحو ذلك.

(وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ)يترك بيان ما لا تقتضيه الحكمة–وَ يَسْكُتُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا غَيَّرُوهُ وَ لَا فَائِدَةَ فِي بَيَانِهِ

(قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ)و هو القرآن يستضاء به فى ظلمات الجهالة و عماية الضلالة.

(وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ)لكل ما يحتاج الخلق إليه من أمور دينهم و دنياهم.

من العلم بالله و أسمائه و صفاته و أفعاله و من العلم بأحكامه الشرعية و أحكامه الجزائية 15

*ثم ذكر مَنْ الذى يهتدى بهذا القرآن و ما هو السبب الذى من العبد لحصول ذلك فقال:–

(يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ)من اجتهد و حرص على بلوغ مرضاة الله و صار قصده حسنا

(سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ)التى تسلم صاحبها من العذاب و توصله إلى دار السلام و هو :–

العلم بالحق و العمل به إجمالا و تفصيلا

(وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ)ظلمات الكفر و البدعة و المعصية و الجهل و الغفلة

⇦إلى نور الإيمان و السنة و الطاعة و العلم و الذكر

(بِإِذۡنِهِۦ)و كل هذه الهداية بإذن الله الذى ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن.

(وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ) 16

(لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ)

لما ذكر تعالى أخذ الميثاق على أهل الكتابين و أنهم لم يقوموا به بل نقضوه ذكر أقوالهم الشنيعة.

فذكر قول النصارى القول الذى ما قاله أحد غيرهم بأن الله هو المسيح ابن مريم

*و وجه شبهتهم أنه ولد من غير أب فاعتقدوا فيه هذا الاعتقاد الباطل مع أن حواء نظيره خُلِقَت بلا أم و آدم أولى منه خلق بلا أب و لا أم فهلا ادعوا فيهما الإلهية كما ادعوها في المسيح؟

فدل على أن قولهم اتباع هوى من غير برهان و لا شبهة. فرد الله عليهم بأدلة عقلية واضحة فقال:–

(قُلۡ)أيها الرسول لهؤلاء الجهلة من النصارى

(فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ):-
لو كان المسيح إلهًا كما يدَّعون لقَدرَ أن يدفع قضاء الله إذا جاءه بإهلاكه و إهلاك أُمِّه

(وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ)و قد ماتت أم عيسى فلم يدفع عنها الموت كذلك لا يستطيع أن يدفع عن نفسه لأنهما عبدان من عباد الله لا يقدران على دفع الهلاك عنهما فهذا دليلٌ على أنه بشر كسائر بنى آدم.
*فإذا كان المذكورون لا امتناع عندهم يمنعهم لو أراد الله أن يهلكهم و لا قدرة لهم على ذلك – دل على بطلان إلهية من لا يمتنع من الإهلاك و لا فى قوته شيء من الفكاك.

و من الأدلـة:-(وَلِلَّهِ)وحده(مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ)

يتصرف فيهم بحكمه الكونى و الشرعى و الجزائى و هم مملوكون مدبرون

فهل يليق أن يكون المملوك العبد الفقير إلها معبودا غنيا من كل وجه؟ هذا من أعظم المحال.

و لا وجه لاستغرابهم لخلق المسيح عيسى ابن مريم من غير أب

فإن الله (يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ)

إن شاء من أب و أم كسائر بنى آدم

و إن شاء من أب بلا أم كحواء.

و إن شاء من أم بلا أب كعيسى.

و إن شاء من غير أب و لا أم كآدم

فنوع خليقته تعالى بمشيئته النافذة التى لا يستعصى عليها شيء و لهذا قال:-

(وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ) 17

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾

(وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ)و من مقالات اليهود و النصارى أن كلا منهما ادعى دعوى باطلة يزكون بها أنفسهم بأن قال كل منهما:–

(نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ)و الابن فى لغتهم هو الحبيب و لم يريدوا البنوة الحقيقية فإن هذا ليس من مذهبهم إلا مذهب النصارى في المسيح. قال الله ردا عليهم حيث ادعوا بلا برهان:–

(قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ)؟ فلو كنتم أحبابه ما عذبكم لكون الله لا يحب إلا من قام بمراضيه .

(بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ)تجرى عليكم أحكام العدل و الفضل

(يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ)إذا أتوا بأسباب المغفرة أو أسباب العذاب

(وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ)فأى شيء خصكم بهذه الفضيلة و أنتم من جملة المماليك

(وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ)و من جملة من يرجع إلى الله فى الدار الآخرة فيجازيكم بأعمالكم18

(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ)

يدعو تبارك و تعالى أهل الكتاب–بسبب ما من عليهم من كتابه–أن يؤمنوا برسوله محمد ﷺ و يشكروا الله تعالى الذى أرسله إليهم على حين (عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ)

(الفترة هنا بمعنى الفتور و ليس المدة .هى مدة فتور و انقطاع من الوحى .فالفترة تعنى :سكون بعد حركة)

*البخارى3948 - عَنْ سَلْمَانَ قَالَ:-«فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَى وَ مُحَمَّدٍ ﷺ سِتُّ مِائَةِ سَنَةٍ»

*و شدة حاجة إليه. و هذا مما يدعو إلى الإيمان به و أنه يبين لهم جميع المطالب الإلهية و الأحكام الشرعية.

*بَعْدَ مُدَّةٍ مُتطَاوِلَةٍ مَا بَيْنَ إِرْسَالِهِ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.وَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ هَذِهِ الْفَتْرَةِ كَمْ هِيَ؟

وَ الْمَشْهُورُ هُوَ أَنَّهُ سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ.وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: سِتُّمِائَةٍ وَ عِشْرُونَ سَنَةً. وَ لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا

*فَإِنَّ الْقَائِلَ الْأَوَّلَ أَرَادَ سِتَّمِائَةِ سَنَةٍ شَمْسِيَّةٍ وَ الْآخَرَ أَرَادَ قَمَرِيَّةً

وَ بَيْنَ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ شَمْسِيَّةٍ وَ بَيْنَ الْقَمَرِيَّةِ نَحْوٌ مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ:-

(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا)[الكَهْف: 25]

أَيْ:قَمَرِيَّةً لِتَكْمِيلِ الثَّلَاثِمِائَةِ الشَّمْسِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ مَعْلُومَةً لِأَهْلِ الْكِتَابِ

وَ كَانَتِ الْفَتْرَةُ بَيْنَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ آخِرِ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ

كَمَا ثَبَتَ فِي الْبُخَارِيِّ 3442-عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:-سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:-

أَنَا أَوْلَى النَّاسِ(أخص الناس به وأقربهم إليه لأنه بشر به أو لأنه لا نبي بينهما فكأنهما في زمن واحد)بِابْنِ مَرْيَمَ وَ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ(هم الأخوة لأب واحد من أمهات مختلفة والمعنى أن شرائعهم متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت من حيث الفروع حسب الزمن وحسب العموم والخصوص) لَيْسَ بَيْنِي وَ بَيْنَهُ نَبِيٌّ»

*مسلم(2865) عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:-

أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ

(في الكلام حذف أي قال الله تعالى كل مال الخ و معنى نحلته أعطيته أي كل مال أعطيته عبدا من عبادى فهو له حلال والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة و البحيرة والحامى وغير ذلك وأنها لم تصر حراما بتحريمهم وكل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق)

وَ إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ(أى مسلمين و قيل طاهرين من المعاصى و قيل مستقيمين منيبين لقبول الهداية)

وَ إِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ (هكذا هو فى نسخ بلادنا فاجتالتهم وكذا نقله القاضى عن رواية الأكثرين أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم فى الباطل وقال شمر اجتال الرجل الشىء ذهب به واجتال أموالهم ساقها وذهب بها)عَنْ دِينِهِمْ وَ حَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ

وَ أَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ(المقت أشد البغض والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله ﷺ)عَرَبَهُمْ وَ عَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ(المراد بهم الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل)

وَ قَالَ:-إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَ أَبْتَلِيَ بِكَ(معناه لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده والصبر فى الله تعالى وغير ذلك وأبتلي بك من أرسلتك إليهم فمنهم من يظهر إيمانه ويخلص في طاعته ومن يتخلف وينابذ بالعداوة والكفر ومن ينافق)

*وَ الْمَقْصُودُ مِنْ إِيرَادِ هَذَا الْحَدِيثِ قَوْلُهُ:-وَ إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَ عَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ"وَ فِي لَفْظِ مُسْلِمٍ:-"مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ"

وَ كَانَ الدِّينُ قَدِ التبس على أهل الْأَرْضِ كُلِّهِمْ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ فَهَدَى الْخَلَائِقَ وَ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ تَرَكَهُمْ عَلَى المحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَ الشَّرِيعَةِ الغرَّاء وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى: (أَن تَقُولُوا)

أَيْ:-لِئَلَّا تَحْتَجُّوا وَ تَقُولُوا:-يَا أَيُّهَا الَّذِينَ بَدَّلُوا دِينَهُمْ وَ غَيَّرُوهُ-

(مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ)يُبَشِّرُ بِالْخَيْرِ وَ يُنْذِرُ مِنَ الشَّرِّ

*و قد قطع الله بذلك حجتهم (فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ)محمد ﷺ

<u>يبشر بـــ:-</u>

1-الثواب العاجل و الآجل 2-و بالأعمال الموجبة لذلك 3- و صفة العاملين بها.

و ينذر ب:-

1-العقاب العاجل و الآجل 2-و بالأعمال الموجبة لذلك 3-و صفة العاملين بها.

(وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ)انقادت الأشياء طوعا و إذعانا لقدرته فلا يستعصى عليه شيء منها

*و من قدرته:-أن أرسل الرسل و أنزل الكتب و أنه يثيب من أطاعهم و يعاقب من عصاهم 19

(وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ)

لما امتن الله على موسى و قومه بنجاتهم من فرعون و قومه و أسرهم و استبعادهم ذهبوا قاصدين لأوطانهم و مساكنهم و هى:-بيت المقدس و ما حواليه و قاربوا وصول بيت المقدس

و كان الله قد فرض عليهم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم

فوعظهم موسى ﷺ و ذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم:-

(ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ)بقلوبكم و ألسنتكم. فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى و منشط على العبادة

(إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ)يدعونكم إلى الهدى و يحذرونكم من الردى و يحثونكم على سعادتكم الأبدية و يعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون

(وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا)

تملكون أمركم بحيث إنه زال عنكم استبعاد عدوكم لكم فكنتم تملكون أمركم و تتمكنون من إقامة دينكم.

*مسلم(2979) عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه وَ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ:-
أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ: «أَلَكَ امْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟» قَالَ: نَعَمْ
قَالَ: «أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ»قَالَ:-فَإِنَّ لِي خَادِمًا قَالَ:«فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ»

(وَءَاتَىٰكُم)من النعم الدينية و الدنيوية

(مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ)فإنهم فى ذلك الزمان خيرة الخلق و أكرمهم على الله تعالى.

و قد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم.

*فذكرهم بالنعم الدينية و الدنيوية الداعى ذلك لإيمانهم و ثباته و ثباتهم على الجهاد و إقدامهم عليه

*يَعْنِي عَالَمِي زَمَانِكُمْ فَكَأَنَّهُمْ كَانُوا أَشْرَفَ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ مِنَ:-الْيُونَانِ وَ الْقِبْطِ وَ سَائِرِ أَصْنَافِ بَنِى آدَمَ
كَمَا قَالَ:(وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)[الْجَاثِيَةِ: 16]
وَ قَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ مُوسَى لَمَّا قَالُوا:(اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ 138 إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ 139 قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)[الْأَعْرَافِ]
وَ الْمَقْصُودُ: أَنَّهُمْ كَانُوا أَفْضَلَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ وَ إِلَّا فَهَذِهِ الْأُمَّةُ أَشْرَفُ مِنْهُمْ وَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَكْمَلُ شَرِيعَةً وَ أَقْوَمُ مِنْهَاجًا وَ أَكْرَمُ نَبِيًّا وَ أَعْظَمُ مُلْكًا وَ أَغْزَرُ أَرْزَاقًا وَ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا وَ أَوْسَعُ مَمْلَكَةً وَ أَدْوَمُ عِزًّا
قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آلِ عِمْرَانَ: 110]

وَ قَالَ (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) الْبَقَرَة: 143
وَ قَدْ ذَكَرْنَا الْأَحَادِيثَ الْمُتَوَاتِرَةَ فِي فَضْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ شَرَفِهَا وَ كَرَمِهَا
عِنْدَ اللَّهِ عِنْدَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

*وَ قِيلَ:الْمُرَادُ:(مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ)مَا كَانَ تَعَالَى نَزَّلَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى و تظلّلهم مِنَ الْغَمَامِ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كَانَ تَعَالَى يَخُصُّهُمْ بِهِ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فَاللَّهُ أَعْلَمُ.
*ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ تَحْرِيضِ مُوسَى عليه السلام لِبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى الْجِهَادِ وَ الدُّخُولِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّذِي كَانَ بِأَيْدِيهِمْ فِي زَمَانِ أَبِيهِمْ يَعْقُوبَ لَمَّا ارْتَحَلَ هُوَ وَ بَنُوهُ وَأَهْلُهُ إِلَى بِلَادِ مِصْرَ أَيَّامَ يُوسُفَ عليه السلام ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى خَرَجُوا مَعَ مُوسَى عليه السلام فَوَجَدُوا فِيهَا قَوْمًا مِنَ الْعَمَالِقَةِ الْجَبَّارِينَ قَدِ اسْتَحْوَذُوا عَلَيْهَا وَ تَمَلَّكُوهَا فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ مُوسَى عليه السلام بالدخول إِلَيْهَا وَ بِقِتَالِ أَعْدَائِهِمْ و بَشَّرهم بِالنُّصْرَةِ وَ الظَّفْرِ عَلَيْهِمْ فَنَكَلُوا و عَصوْا وَ خَالَفُوا أَمْرَهُ فَعُوقِبُوا بِالذَّهَابِ فِي التِّيهِ وَ التَّمَادِي فِي سَيْرِهِمْ حَائِرِينَ لَا يَدْرُونَ كَيْفَ يَتَوَجَّهُونَ فِيهِ إِلَى مَقْصِدٍ مُدّة أَرْبَعِينَ سَنَةً عُقُوبَةٌ لَهُمْ عَلَى تَفْرِيطِهِمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى 20

و لهذا قال:(يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ)المطهرة–هِيَ الطُّورُ وَ مَا حَوْلَهُ

مواقف اليهود مع موسى 20-26

(ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ)فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله و أنه قد كتب الله لهم دخولها و انتصارهم على عدوهم.
*الَّتِي وَعَدَكُمُوهَا اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَبِيكُمْ إِسْرَائِيلَ:-أَنَّهُ وِرَاثَةُ مَنْ آمَنَ مِنْكُمْ.

(وَلَا تَرْتَدُّواْ)ترجعوا

(عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ)ترجعوا منهزمين إلى الوراء.

(فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ)

قد خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء و فتح بلادكم.

و آخرتكم بما فاتكم من الثواب و ما استحققتم–بمعصيتكم–من العقاب 21

فـ(قَالُواْ)قولا يدل على ضعف قلوبهم و خور نفوسهم و عدم اهتمامهم بأمر الله و رسوله:–

(يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ)عظام الأجسام أقوياء الأبدان يجبرون على طاعتهم من شاءوا.
*شديدى القوة و الشجاعة أى: فهذا من الموانع لنا من دخولها.

(وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ)
و كان سبب هذه الهزيمة الروحية ما أذاعه النقباء من أخبار مهيلة مخيفة تصف العمالقة الكنعانيين بصفات لا تكاد تتصور فى العقول اللهم إلا اثنين منهم و هما:-يوشع بن نون و كالب بن يوحنا
*و هذا من الجبن و قلة اليقين و إلا فلو كان معهم رشدهم لعلموا أنهم كلهم من بنى آدم

و أن القوى من أعانه الله بقوة من عنده فإنه لا حول و لا قوة إلا بالله و لعلموا أنهم سينصرون عليهم إذ وعدهم الله بذلك وعدا خاصا22

(قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ)الله تعالى مشجعين لقومهم منهضين لهم على قتال عدوهم و احتلال بلادهم.

(أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا)بالتوفيق وكلمة الحق فى هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم و أنعم عليهم بالصبر و اليقين *بنعمة العصمة حيث لم يفشوا سر ما شاهدوه لمَّا دخلوا أرض الجبارين لكشف أحوال العدو بها و هما :- يوشع بن نون و كالب بن يوحنا من النقباء الاثنى عشر.

(ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ)ليس بينكم و بين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم و تدخلوا عليهم الباب

(فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ)عليهم(فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ)فإنهم سينهزمون و ذلك لعنصر المباغتة و هو عنصر مهم فى الحروب

ثم أمَرَاهم بعدة هى أقوى العدد فقالا:-(وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

فإن فى التوكل على الله و خصوصا فى هذا الموطن:-

1-تيسيرا للأمر

2- و نصرا على الأعداء

و دل هذا على :-

1-وجوب التوكل

2-و على أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله ....فلم ينجع فيهم هذا الكلام و لا نفع فيهم الملام23

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

فـ(قَالُواْ)قول الأذلين:–(يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ)

فما أشنع هذا الكلام منهم و مواجهتهم لنبيهم فى هذا المقام الحرج الضيق الذى قد دعت الحاجة و الضرورة إلى نصرة نبيهم و إعزاز أنفسهم.

*و بهذا و أمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم و أمة محمد ﷺ حيث قال الصحابة لرسول الله ﷺ –حين شاورهم في القتال يوم « بدر »مع أنه لم يحتم عليهم:–

يا رسول الله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك و لو بلغت بنا بَرْكَ الغماد ما تخلف عنك أحد.

و لا نقول كما قال قوم موسى لموسى:–(فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ)

و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون من بين يديك و من خلفك و عن يمينك و عن يسارك.

*أحمد 12022-عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ:«لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَدْرٍ خَرَجَ فَاسْتَشَارَ النَّاسَ فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ اسْتَشَارَهُمْ فَأَشَارَ عَلَيْهِ عُمَرُ فَسَكَتَ»فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ:- إِنَّمَا يُرِيدُكُمْ فَقَالُوا:-

يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ اللَّهِ لَا نَكُونُ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى:{اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}

وَ لَكِنْ وَ اللَّهِ لَوْ ضَرَبْتَ أَكْبَادَهَا حَتَّى تَبْلُغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَكُنَّا مَعَكَ

*فلما رأى موسى عليه السلام عتوهم عليه قال موسى داعيا عليهم:-(قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ)

لَيْسَ أَحَدٌ يُطِيعُنِي مِنْهُمْ فَيَمْتَثِلُ أَمْرَ اللَّهِ وَ يُجِيبُ إِلَى مَا دعوتَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَا وَ أَخِي هَارُونُ

*فلا يدان لنا بقتالهم و لست بجبار على هؤلاء.

(فَٱفۡرُقۡ)احكم (بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ)و بينهم بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك

و دل ذلك على أن قولهم و فعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق.

قَالَ الله مجيبا لدعوة موسى:-(قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ)

أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم مدة(أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ)

و تلك المدة أيضا(يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ)لا يهتدون إلى طريق و لا يبقون مطمئنين

و هذه عقوبة دنيوية لعل الله تعالى كفر بها عنهم و دفع عنهم عقوبة أعظم منها

و في هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر.

*و لعل الحكمة فى هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة الصادرة عن قلوب لا صبر فيها و لا ثبات

بل قد ألفت الاستعباد لعدوها و لم تكن لها همم ترقيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها

*و لتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء و عدم الاستعباد و الذل المانع من السعادة.

*فلما انقضت الْمُدَّةُ خَرَجَ بِهِمْ "يُوشَعُ بْنُ نُونٍ"عليه السلام أَوْ بِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ وَ بِسَائِرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْجِيلِ الثَّانِي
فَقَصَدَ بِهِمْ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَحَاصَرَهَا فَكَانَ فَتْحُهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ فَلَمَّا تَضَيَّفَتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ
و خَشِيَ دُخُولَ السَّبْتِ عَلَيْهِمْ قَالَ:-إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَ أَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ"
فَحَبَسَهَا اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى فَتَحَهَا كما فى الحديث:-

*أحمد 8238-وَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ:-لَا يَتَّبِعْنِي:-
1-رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَ هُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَ لَمْ يَبْنِ
2-وَ لَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا وَ لَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا
3-وَ لَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا.
فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ لِلشَّمْسِ:-
أَنْتِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَمَعُوا مَا غَنِمُوا فَأَقْبَلَتِ النَّارُ لِتَأْكُلَهُ فَأَبَتْ أَنْ تَطْعَمَهُ فَقَالَ:-فِيكُمْ غُلُولٌ فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ فَبَايَعُوهُ فَلَصِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ قَالَ: فَبَايَعَتْهُ قَبِيلَتُهُ فَلَصِقَ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ
فَقَالَ: فِيكُمُ الْغُلُولُ أَنْتُمْ غَلَلْتُمْ فَأَخْرَجُوا لَهُ مِثْلَ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ
قَالَ: «فَوَضَعُوهُ فِي الْمَالِ وَهُوَ بِالصَّعِيدِ فَأَقْبَلَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهُ فَلَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِنَا ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَأَى ضَعْفَنَا وَ عَجْزَنَا فَطَيَّبَهَا لَنَا»
*وَ أَمَرَ اللَّهُ "يُوشَعَ بْنَ نُونٍ" أَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ يَدْخُلُونَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ أَنْ يَدْخُلُوا بَابَهَا سُجّدا
وَ هُمْ يَقُولُونَ:حِطَّةٌ أَيْ:-حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا فَبَدَّلُوا مَا أُمِرُوا بِهِ فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَ هُمْ يَقُولُونَ:-
حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ وَ قَدْ تَقَدَّمَ هَذَا كُلُّهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

*و لما علم الله تعالى أن عبده موسى فى غاية الرحمة على الخلق خصوصا قومه و أنه ربما رق لهم و احتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة أو الدعاء لهم بزوالها مع أن الله قد حتمها قال:-

(فَلَا تَأْسَ)تأسف(عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ)و لا تحزن

فإنهم قد فسقوا و فسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا.

*أبي يعلى الموصلى 2618-عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ثُمَّ سَارَ بِهِمْ مُوسَى مُتَوَجِّهًا نَحْوَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ بَعْدَمَا سَكَتَ عَنْهُ الْغَضَبُ فَأَمَرَهُمْ بِالَّذِي أُمِرَ بِهِ أَنْ يُبَلِّغَهُمْ مِنَ الْوَظَائِفِ فَثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَبَوْا أَنْ يُقِرُّوا بِهَا فَنَتَقَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَبَلَ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ دَنَا مِنْهُمْ حَتَّى خَافُوا أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ فَأَخَذُوا الْكِتَابَ بِأَيْمَانِهِمْ وَ هُمْ مُصْغُونَ إِلَى الْجَبَلِ وَ الْأَرْضِ وَ الْكِتَابُ بِأَيْدِيهِمْ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْجَبَلِ مَخَافَةَ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى أَتَوُا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَوَجَدُوا فِيهَا مَدِينَةً فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارُونَ خَلْقُهُمْ خَلْقٌ مُنْكَرٌ وَ ذَكَرُوا مِنْ ثِمَارِهِمْ أَمْرًا عَجِيبًا مِنْ عِظَمِهَا فَقَالُوا:{يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ} [المائدة: 22] لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ وَلَا نَدْخُلُهَا مَا دَامُوا فِيهَا {فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ}[المائدة: 22] {قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ}[المائدة: 23]الْجَبَّارِينَ آمَنَّا بِمُوسَى فَخَرَجَا إِلَيْهِ فَقَالَا: نَحْنُ أَعْلَمُ بِقَوْمِنَا إِنْ كُنْتُمْ إِنَّمَا تَخَافُونَ مِمَّا تَرَوْنَ مِنْ أَجْسَامِهِمْ وَ عُدَّتَهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا قُلُوبَ لَهُمْ وَ لَا مَنَعَةَ عِنْدَهُمْ فَادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ {فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ}[المائدة: 23]وَ يَقُولُ نَاسٌ: إِنَّهُمَا مِنْ قَوْمِ مُوسَى وَ زُعِمَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُمَا مِنَ الْجَبَابِرَةِ آمَنَا بِمُوسَى يَقُولُ: {مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ} [المائدة: 23] إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ الَّذِينَ يَخَافُهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ{قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}[المائدة: 24]فَأَغْضَبُوا مُوسَى فَدَعَا عَلَيْهِمْ وَ سَمَّاهُمْ فَاسِقِينَ وَ لَمْ يَدْعُ عَلَيْهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ لِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَ إِسَاءَتِهِمْ حَتَّى كَانَ يَوْمَئِذٍ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فَسَمَّاهُمْ كَمَا سَمَّاهُمْ مُوسَى فَاسِقِينَ وَ حَرَّمَهَا عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ يُصْبِحُونَ كُلَّ يَوْمٍ فَيَسِيرُونَ لَيْسَ لَهُمْ قَرَارٌ ثُمَّ ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ فِي التِّيهِ وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوَى وَ جَعَلَ لَهُمْ ثِيَابًا لَا تَبْلَى وَ لَا تَتَّسِخُ وَ جَعَلَ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ حَجَرًا مُرَبَّعًا وَ أَمَرَ مُوسَى فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ {فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا}[البقرة: 60]فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ ثَلَاثَةُ أَعْيُنٍ وَ أَعْلَمَ كُلَّ سِبْطٍ عَيْنَهُمُ الَّتِي يَشْرَبُونَ مِنْهَا لَا يَرْتَحِلُونَ مِنْ مَنْقَلَةٍ إِلَّا وُجِدَ ذَلِكَ الْحَجَرُ فِيهِمْ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ بِالْأَمْسِ .

(وَٱتْلُ)قص(عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ)على الناس و أخبرهم بالقضية التى جرت على ابنى آدم

قصة هابيل و قابيل 27-31

(بِٱلْحَقِّ)تلاوة يعتبر بها المعتبرون صدقا لا كذبا و جدا لا لعبا

و الظاهر أن ابنى آدم هما ابناه لصلبه كما يدل عليه ظاهر الآية و السياق و هو قول جمهور المفسرين.

أى: اتل عليهم نبأهما فى حال تقريبهما للقربان الذى أداهما إلى الحال المذكورة.

(إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا)أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله

(فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ)

بأن علم ذلك بخبر من السماء أو بالعادة السابقة فى الأمم أن علامة تقبل الله لقربان أن تنزل نار من السماء فتحرقه

(قَالَ)الابن الذى لم يتقبل منه للآخر حسدا و بغيا

(لَأَقۡتُلَنَّكَۖ)فقال له الآخر – مترفقا له فى ذلك–

(قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ)فأى ذنب لى و جناية توجب لك أن تقتلنى؟

إلا أني اتقيت الله تعالى الذى تقواه واجبة عليّ و عليك و على كل أحد و أصح الأقوال فى تفسير

(ٱلۡمُتَّقِينَ)هنا أى:– المتقين لله في ذلك العمل بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله متبعين فيه لسنة رسول الله ﷺ

*ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله لا ابتداء و لا مدافعة فقال:–

(لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ)و ليس ذلك جبنا منى و لا عجزا.

و إنما ذلك لأنى (إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)و الخائف الله لا يُقْدِمُ على الذنوب خصوصا الذنوب الكبار.

و فى هذا تخويف لمن يريد القتل و أنه ينبغى لك أن تتقى الله و تخافه.

*موارد الظمآن 1862عَنْ أبي ذَرٍّ قَالَ:رَكبَ رَسُولُ الله-ﷺ-حِمَاراً وَ أَرْدَفَنِي خَلْفَهُ ثُمَّ قَالَ:-
أبَا ذَرٍّ أرَأَيْتَ إنْ أَصَابَ النَّاسَ جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى لا تَسْتَطِيعَ أنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ كيف تصنع
قُلْتُ: اللهُ وَ رَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: "تَعَفَّفْ".قَالَ: "يَا أَبَا ذَرٍّ أرَأَيْتَ إِنْ أصَابَ النَّاسَ مَوْتٌ شَدِيدٌ حَتَّى يَكُونَ
الْبَيْتُ فيه بِالْعَبْدِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ "قَالَ: الله وَ رَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ:-اصبر يَا أَبَا ذَرٍّ.
أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً حَتَّى تغرق حِجَارَةُ الزَّيْتِ فِي الدِّمَاءِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ ".
قَالَ: اللهُ وَ رَسُولُهُ أَعْلَمُ.قَالَ: "أَقْعُدَ فِي بَيْتِكَ وَ أَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَكَ".قَالَ: أرَأَيْتَ إِنْ بن أتْرَكْ
قَالَ: "ائْتِ مَنْ أَنْتَ مِنْهُ فَكُنْ فِيهِمْ".قَالَ: فَآخُذُ سِلاحِي؟.
قَالَ:إذاً تُشَارِكُهُمْ وَ لكِنْ إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَرُوعَكَ شُعَاعُ السَّيفِ فَألْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ يَبُؤْ بِإِثْمِكَ وَ إِثْمِهِ"

(إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ)ترجع(بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ)إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإني أوثر أن تقتلنى فتبوء بالوزرين

(فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ)

دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب و أنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجانى و لم ينزجر و لم يزل يعزم نفسه و يجزمها

(فَطَوَّعَتۡ)حتى طوعت(لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ)الذى يقتضى الشرع و الطبع احترامه.

(فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ)دنياهم و آخرتهم و أصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل.

«و من سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة » .

و لهذا ورد فى البخارى 3335 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ القَتْلَ»(Î)

*أبي داود 4902 - عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ»

*فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به لأنه أول ميت مات من بنى آدم (فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ)

أى: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا.

(لِيُرِيَهُۥ)بذلك(كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ)بدنه لأن بدن الميت يكون عورة

(قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ)

(فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ)و هكذا عاقبة المعاصى الندامة و الخسارة–على حمله أو على قتله و عدم دفنه و بمجرد الندم لا يكون توبة مع أن توبة القاتل عمداً لا تنجيه من النار.

(كفل) جزء ونصيب من إثم قتلها. (سن القتل) ابتدع القتل على وجه الأرض]

مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾

جزاء القتل و الفساد فى الأرض 32-34

يقول تعالى (مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ)الذى ذكرناه فى قصة ابنى آدم و قتل أحدهما أخاه و سَنِّه القتل لمن بعده و أن القتل عاقبته و خيمة و خسارة في الدنيا و الآخرة.

(كَتَبۡنَا)شرعنا و أعلمنا (عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)أهل الكتب السماوية

(أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ)بغير حق

(فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا)

لأنه ليس معه داع يدعوه إلى التبيين و أنه لا يقدم على القتل إلا بحق

فلما تجرأ على قتل النفس التي لم تستحق القتل ←عُلِم أنه لا فرق عنده بين هذا المقتول و بين غيره

و إنما ذلك بحسب ما تدعوه إليه نفسه الأمارة بالسوء. فتجرؤه على قتله كأنه قتل الناس جميعا.

* الطبرى11770 - عن الضحاك يقول في قوله:(من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل)
يقول: من أجل ابن آدم الذى قتل أخاه ظلمًا.
*ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله جل ثناؤه:"من قتل نفسًا بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا و من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا".فقال بعضهم: معنى ذلك: -
و من قتل نبيًّا أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعًا و من شدَّ على عضُد نبيّ أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعًا.
*الطبرى 11774 ابن عباس قال:"من أحياها فكأنما أحيى الناس جميعًا" قال: من كف عن قتلها فقد أحياها "و من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعًا" قال: و من أوبقها.

(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ)و كذلك من أحيا نفسا أى:-

استبقى أحدا فلم يقتله مع دعاء نفسه له إلى قتله فمنعه خوف الله تعالى من قتله فهذا كأنه أحيا الناس جميعا لأن ما معه من الخوف يمنعه من قتل من لا يستحق القتل

و دلت الآية على أن القتل يجوز بأحد أمرين:-

1-إما أن يقتل نفسا بغير حق متعمدا في ذلك فإنه يحل قتله إن كان مكلفا مكافئا ليس بوالد للمقتول

2-و إما أن يكون مفسدا في الأرض بإفساده لأديان الناس أو أبدانهم أو أموالهم كـ:-

أ-الكفار المرتدين و المحاربين

ب-و الدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شرهم إلا بالقتل.

ج-و كذلك قطاع الطريق و نحوهم ممن يصول على الناس لقتلهم أو أخذ أموالهم.

(وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ)التى لا يبقى معها حجة لأحد.

(ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم)أى: من الناس

(بَعْدَ ذَٰلِكَ)البيان القاطع للحجة الموجب للاستقامة

(فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)فى العمل بالمعاصى و مخالفة الرسل الذين جاءوا بالبينات و الحجج32

(إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا)

المحاربون لله و لرسوله هم الذين بارزوه بالعداوة و أفسدوا في الأرض بالكفر و القتل و أخذ الأموال و إخافة السبل.

و المشهور أن هذه الآية الكريمة في أحكام قطاع الطريق الذين يعرضون للناس في القرى و البوادي فـ:- يغصبونهم أموالهم و يقتلونهم و يخيفونهم فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها فتنقطع بذلك

(أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِۚ)

فأخبر الله أن جزاءهم و نكالهم - عند إقامة الحد عليهم- أن يفعل بهم واحد من هذه الأمور.

و اختلف المفسرون:-

هل ذلك على التخيير و أن كل قاطع طريق يفعل به الإمام أو نائبه ما رآه المصلحة من هذه الأمور المذكورة؟

و هذا ظاهر اللفظ أو أن عقوبتهم تكون بحسب جرائمهم فكل جريمة لها قسط يقابلها كما تدل عليه الآية بحكمتها و موافقتها لحكمة الله تعالى.

*و أنهم إن قتلوا و أخذوا مالا تحتم قتلُهم و صلبهم حتى يشتهروا و يختزوا و يرتدع غيرهم

*و إن قتلوا و لم يأخذوا مالا تحتم قتلهم فقط.

*و إن أخذوا مالا و لم يقتلوا تحتم أن تقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف اليد اليمنى و الرجل اليسرى.

*و إن أخافوا الناس و لم يقتلوا و لا أخذوا مالا نفوا من الأرض فلا يتركون يأوون فى بلد حتى تظهر توبتهم.

و هذا قول ابن عباس ﷺو كثير من الأئمة على اختلاف فى بعض التفاصيل.

*البخارى 4610 عَنْ أَبِي قِلاَبَةَ أَنَّهُ كَانَ جَالِسًا خَلْفَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ
فَذَكَرُوا وَ ذَكَرُوا فَقَالُوا وَ قَالُوا :-قَدْ أَقَادَتْ بِهَا الخُلَفَاءُ فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي قِلاَبَةَ وَ هُوَ خَلْفَ ظَهْرِهِ
فَقَالَ: مَا تَقُولُ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْدٍ؟ أَوْ قَالَ: مَا تَقُولُ يَا أَبَا قِلاَبَةَ؟ -
قُلْتُ: مَا عَلِمْتُ نَفْسًا حَلَّ قَتْلُهَا فِي الإِسْلاَمِ إِلَّا رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانٍ أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ حَارَبَ اللَّهَ
وَ رَسُولَهُ ﷺفَقَالَ عَنْبَسَةُ: حَدَّثَنَا أَنَسٌ بِكَذَا وَ كَذَا قُلْتُ: إِيَّايَ حَدَّثَ أَنَسٌ قَالَ:-
قَدِمَ قَوْمٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺفَكَلَّمُوهُ فَقَالُوا: قَدْ اسْتَوْخَمْنَا هَذِهِ الأَرْضَ فَقَالَ:-
«هَذِهِ نَعَمٌ لَنَا تَخْرُجُ فَاخْرُجُوا فِيهَا فَاشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَ أَبْوَالِهَا»
فَخَرَجُوا فِيهَا فَشَرِبُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَ أَلْبَانِهَا وَ اسْتَصَحُّوا وَ مَالُوا عَلَى الرَّاعِي فَقَتَلُوهُ وَ اطَّرَدُوا النَّعَمَ فَمَا يُسْتَبْطَأُ
مِنْ هَؤُلاَءِ؟ قَتَلُوا النَّفْسَ وَ حَارَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ خَوَّفُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺفَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ فَقُلْتُ:-تَتَّهِمُنِي؟
قَالَ: حَدَّثَنَا بِهَذَا أَنَسٌ قَالَ:وَ قَالَ: «يَا أَهْلَ كَذَا إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا أُبْقِيَ هَذَا فِيكُمْ أَوْ مِثْلُ هَذَا»

(ذَٰلِكَ)النكال (لَهُمۡ خِزۡيٞ)فضيحة و عار (فِي ٱلدُّنۡيَاۖ)

(وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

فدل هذا :-

1-أن قطع الطريق من أعظم الذنوب موجب لفضيحة الدنيا و عذاب الآخرة

2-و أن فاعله محارب لله و لرسوله.

و إذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة عُلِم أن :-

1-تطهير الأرض من المفسدين

2-و تأمين السبل و الطرق عن القتل و أخذ الأموال و إخافة الناس من أعظم الحسنات و أجل الطاعات

3-و أنه إصلاح فى الأرض كما أن ضده إفساد فى الأرض33

(إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ)من هؤلاء المحاربين

(فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)فيسقط عنه ما كان لله من تحتم القتل و الصلب و القطع و النفى

و من حق الآدمى أيضا إن كان المحارب كافرا ثم أسلم فإن كان المحارب مسلما فإن حق الآدمى لا يسقط عنه من القتل و أخذ المال.

*و دل مفهوم الآية على أن توبة المحارب-بعد القدرة عليه-أنها لا تسقط عنه شيئا و الحكمة في ذلك ظاهرة.

*و إذا كانت التوبة قبل القدرة عليه تمنع من إقامة الحد فى الحرابة فغيرها من الحدود-إذا تاب من فعلها قبل القدرة عليه- من باب أولى34

فضيلة التقرب الى الله بالعمل الصالح 35

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)

هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله و الحذر من سخطه و غضبه

و ذلك بأن يجتهد العبد و يبذل غاية ما يمكنه من المقدور فى اجتناب ما يَسخطه الله من:-

معاصى القلب و اللسان و الجوارح الظاهرة و الباطنة و يستعين بالله على تركها لينجو بذلك من سخط الله و عذابه.

(وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ)وَ الْوَسِيلَةُ:-هِىَ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى تَحْصِيلِ الْمَقْصُودِ

وَ الْوَسِيلَةُ أَيْضًا:

عَلَمٌ عَلَى أَعْلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ وَهِىَ مَنْزِلَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَارُهُ فِي الْجَنَّةِ وَ هِىَ أَقْرَبُ أَمْكِنَةِ الْجَنَّةِ إِلَى الْعَرْشِ

كقوله(أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ)الإسراء: ٥٧

مسلم(384) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:-

«إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ

(خبر كان وقع موقع إياه هذا على تقدير أن يكون أنا تأكيدا للضمير المستتر في أكون ويحتمل أن يكون أنا مبتدأ وهو خبره والجملة خبر أكون)

فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ(وجبت وقيل نالته) لَهُ الشَّفَاعَةُ»

الوسيلة:-أى:القرب منه و الحظوة لديه و الحب له و ذلك بأداء فرائضه القلبية كـ:-

الحب له و فيه و الخوف و الرجاء و الإنابة و التوكل

و البدنية كـ:-الزكاة و الحج

و المركبة من ذلك كـ:-الصلاة و نحوها من أنواع القراءة و الذكر

و من أنواع الإحسان إلى الخلق بـ:-المال و العلم و الجاه و البدن و النصح لعباد الله

فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله.

و لا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به و بصره الذى يبصر به و يده التى يبطش بها و رجله التى يمشى بها و يستجيب الله له الدعاء.

(وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ)

ثم خص تبارك و تعالى من العبادات المقربة إليه الجهاد فى سبيله و هو:-

1-بذل الجهد فى قتال الكافرين بالمال و النفس و الرأى و اللسان

2-و السعى فى نصر دين الله بكل ما يقدر عليه العبد

لأن هذا النوع من أجل الطاعات وأفضل القربات. و لأن من قام به فهو على القيام بغيره أحرى و أولى

(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

1-إذا اتقيتم الله بترك المعاصى

2-و ابتغيتم الوسيلة إلى الله بفعل الطاعات

3-و جاهدتم فى سبيله ابتغاء مرضاته.

و الفلاح هو :-

1-الفوز و الظفر بكل مطلوب مرغوب

2-و النجاة من كل مرهوب فحقيقته السعادة الأبدية و النعيم المقيم35

بيان عاقبة الكفار يوم القيامة 36-37

يخبر تعالى عن شناعة حال الكافرين بالله و مآلهم الفظيع فقال:-

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ)

الله بملء الأرض ذهبا و مثله معه

(يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ)

(مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ)و لا أفاد لأن محل الافتداء قد فات

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)٣٦

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾

وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾

فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ

وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ

مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ

مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ

فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ

لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

(يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ)أليم الموجع

(مُّقِيمٌ)دائم لا يخرجون منه أبدا بل هم ماكثون فيه سرمدا.

*أحمد 12312 عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-

يَقُولُ اللَّهُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟

فَيَقُولُ: نَعَمْ فَيَقُولُ:-

قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَ أَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي37

(وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا)

وَ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى أَنَّ الِاعْتِبَارَ فِي قَطْعِ يَدِ السَّارِقِ بِرُبْعِ دِينَارٍ أَوْ مَا يُسَاوِيهِ مِنَ الْأَثْمَانِ أَوِ الْعُرُوضِ فَصَاعِدًا.

وَ الْحُجَّةُ فِي ذَلِكَ في البخارى 6789 عَنْ عَائِشَةَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-«تُقْطَعُ اليَدُ فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا»

6790 عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:-«تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ فِي رُبُعِ دِينَارٍ»

*فَهَذَا الْحَدِيثُ فَاصِلٌ فِي الْمَسْأَلَةِ وَ نَصٌّ فِي اعْتِبَارِ رُبْعِ الدِّينَارِ لَا مَا سَاوَاهُ.

السارق:—هو من أخذ مال غيره المحترم خفية بغير رضاه.

حد السرقة 38-40

و هو من كبائر الذنوب الموجبة لترتب العقوبة الشنيعة و هو قطع اليد اليمنى كما هو في قراءة بعض الصحابة.
و حد اليد عند الإطلاق من الكوع فإذا سرق قطعت يده من الكوع و حسمت فى زيت لتنسد العروق فيقف الدم

و لكن السنة قيدت عموم هذه الآية من عدة أوجه:-

1-الحرز فإنه لا بد أن تكون السرقة من حرز و حرز كل مال:-ما يحفظ به عادة. فلو سرق من غير حرز فلا قطع عليه

2-أنه لا بد أن يكون المسروق نصابا و هو ربع دينار أو ثلاثة دراهم أو ما يساوى أحدهما فلو سرق دون ذلك فلا قطع عليه

و لعل هذا يؤخذ من لفظ السرقة و معناها فإن لفظ « السرقة » أخذ الشيء على وجه لا يمكن الاحتراز منه و ذلك أن يكون المال محرزا

فلو كان غير محرز لم يكن ذلك سرقة شرعية.

*و من الحكمة أيضا أن لا تقطع اليد فى الشيء النزر التافه فلما كان لا بد من التقدير كان التقدير الشرعى مخصصا للكتاب.

*و الحكمة فى قطع اليد فى السرقة أن ذلك:-حفظ للأموال 2-و احتياط لها

و ليقطع العضو الذى صدرت منه الجناية فإن عاد السارق قطعت رجله اليسرى فإن عاد فقيل:-
تقطع يده اليسرى ثم رجله اليمنى و قيل: يحبس حتى يموت.

ذلك القطع (جَزَآءَۢ)للسارق(بِمَا كَسَبَا)سرقه من أموال الناس

(نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ)تنكيلا و ترهيبا للسارق و لغيره ليرتدع السراق - إذا علموا- أنهم سيقطعون إذا سرقوا.

(وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ)عَزَّ و حكم فقطع السارق﴿٣٨﴾

(فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ)

فيغفر لمن تاب فترك الذنوب و أصلح الأعمال و العيوب.

*البخارى 6788 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:-
أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّتْهُمُ المَرْأَةُ المَخْزُومِيَّةُ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
وَ مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:-
«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ» ثُمَّ قَامَ فَخَطَبَ
قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا ضَلَّ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَ إِذَا سَرَقَ الضَّعِيفُ فِيهِمْ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ وَ ايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَرَقَتْ لَقَطَعَ مُحَمَّدٌ يَدَهَا»39

(أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ)

و ذلك أن لله ملك السماوات و الأرض يتصرف فيهما بما شاء من التصاريف:–

القدرية و الشرعية و المغفرة و العقوبة بحسب ما اقتضته:– حكمته و رحمته الواسعة و مغفرته40

(۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ)

الصحيح المسند من أسباب النزول:مسلم (1700) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ:-

مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺبِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا(مسود الوجه من الحممة الفحمة)مَجْلُودًا فَدَعَاهُمْ ﷺفَقَالَ:

«هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ؟»قَالُوا: نَعَمْ فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ:

«أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِي فِي كِتَابِكُمْ»قَالَ:

لَا وَ لَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ نَجِدُهُ الرَّجْمَ وَ لَكِنَّهُ كَثُرَ فِي أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ وَ إِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ

قُلْنَا:- تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَيْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَ الْوَضِيعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَ الْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:-«اللهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ

فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ}إِلَى قَوْلِهِ {إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ} [المائدة: 41]

يَقُولُ:-ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَ الْجَلْدِ فَخُذُوهُ وَ إِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}فِي الْكُفَّارِ كُلُّهَا

*كان الرسول ﷺمن شدة حرصه على الخلق يشتد حزنه لمن يظهر الإيمان ثم يرجع إلى الكفر فأرشده الله تعالى إلى أنه:–لا يأسى و لا يحزن على أمثال هؤلاء.فإن هؤلاء لا في العير و لا في النفير.

إن حضروا لم ينفعوا و إن غابوا لم يفقدوا و لهذا قال مبينا للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم فقال:–

(مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ)أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ بِأَلْسِنَتِهِمْ

(وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ)خَرَابٌ خَاوِيَةٌ مِنْهُ وَ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُنَافِقُونَ.

*فإن الذين يؤسى و يحزن عليهم من كان معدودا من المؤمنين و هم المؤمنون ظاهرا و باطنا و حاشا لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم و يرتدوا فإن الإيمان – إذا خالطت بشاشته القلوب– لم يعدل به صاحبه غيره و لم يبغ به بدلا.

تسلية النبى لما يلقاه من اليهود و المنافقين و عقابهم و كيفية معاملتهم

(وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ)اليهود

(سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ)مستجيبون و مقلدون

(لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ)لرؤسائهم المبنى أمرهم على الكذب و الضلال و الغى.

و هؤلاء الرؤساء المُتبَعَون (لَمۡ يَأۡتُوكَۖ)بل أعرضوا عنك

و فرحوا بما عندهم من الباطلفهم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾أي:-

جلب معان للألفاظ ما أرادها الله و لا قصدها لإضلال الخلق و لدفع الحق

*فهؤلاء المنقادون للدعاة إلى الضلال المتبعين للمحال الذين يأتون بكل كذب لا عقول لهم و لا همم.

فلا تبال أيضا إذا لم يتبعوك لأنهم في غاية النقص و الناقص لا يؤبه له و لا يبالى به.

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ۚ﴾

أي: هذا قولهم عند محاكمتهم إليك لا قصد لهم إلا اتباع الهوى.يقول بعضهم لبعض:-

إن حكم لكم محمد بهذا الحكم الذى يوافق أهواءكم فاقبلوا حكمه و إن لم يحكم لكم به فاحذروا أن تتابعوه على ذلك و هذا فتنة و اتباع ما تهوى الأنفس.

*البخارى 6841 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ:-

إِنَّ اليَهُودَ جَاءُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ و امْرَأَةً زَنَيَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ»فَقَالُوا:-نَفْضَحُهُمْ وَ يُجْلَدُونَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: -

كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَ مَا بَعْدَهَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: ارْفَعْ يَدَكَ فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ قَالُوا:-

صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللَّهِﷺفَرُجِمَا فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَحْنِي عَلَى المَرْأَةِ يَقِيهَا الحِجَارَةَ

*مسلم (1699) عن عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺأُتِيَ بِيَهُودِيٍّ وَ يَهُودِيَّةٍ قَدْ زَنَيَا فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺحَتَّى جَاءَ يَهُودَ فَقَالَ: «مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ عَلَى مَنْ زَنَى؟» قَالُوا: نُسَوِّدُ وُجُوهَهُمَا وَ نُحَمِّلُهُمَا وَ نُخَالِفُ بَيْنَ وُجُوهِهِمَا وَ يُطَافُ بِهِمَا قَالَ:-«فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»

فَجَاءُوا بِهَا فَقَرَءُوهَا حَتَّى إِذَا مَرُّوا بِآيَةِ الرَّجْمِ وَضَعَ الْفَتَى الَّذِي يَقْرَأُ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ

وَ قَرَأَ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا وَرَاءَهَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ:-وَ هُوَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُرْهُ فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ فَرَفَعَهَا فَإِذَا تَحْتَهَا آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺفَرُجِمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ:-

كُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِيهَا مِنَ الْحِجَارَةِ بِنَفْسِهِ

*فَهَذِهِ أَحَادِيثُ دَالَّةٌ على أن رسول الله ﷺحَكَمَ بِمُوَافَقَةِ حُكْمِ التَّوْرَاةِ وَ لَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْإِلْزَامِ لَهُمْ بِمَا يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهُ أَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِاتِّبَاعِ الشَّرْعِ الْمُحَمَّدِيِّ لَا مَحَالَةَ وَ لَكِنَّ هَذَا بِوَحْىٍ خَاصٍّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِذَلِكَ وَ سُؤَالُهُ إِيَّاهُمْ عَنْ ذَلِكَ لِيُقَرِّرَهُمْ عَلَى مَا بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا تَرَاضَوْا عَلَى كِتْمَانِهِ وَ جَحْدِهِ وَ عَدَمِ الْعَمَلِ بِهِ تِلْكَ الدُّهُورَ الطَّوِيلَةَ فَلَمَّا اعْتَرَفُوا بِهِ مَعَ عَملهم عَلَى خِلَافِهِ بِأَنَّ زَيْغَهُمْ وَ عِنَادَهُمْ وَ تَكْذِيبَهُمْ لِمَا يَعْتَقِدُونَ صِحَّتَهُ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِى بِأَيْدِيهِمْ وَ عُدُولِهِمْ إِلَى تَحْكِيمِ الرَّسُولِ ﷺإِنَّمَا كَانَ عَنْ هَوًى مِنْهُمْ وَ شَهْوَةٍ لِمُوَافَقَةِ آرَائِهِمْ لَا لِاعْتِقَادِهِمْ صِحَّةَ مَا يَحْكُمُ بِهِ لِهَذَا قَالُوا:-

(﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾)الجلد وَ التَّحْمِيمَ (﴿فَخُذُوهُ﴾)اقْبَلُوهُ

(﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ۚ﴾)مِنْ قَبُولِهِ وَ اتِّبَاعِهِ.

(وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ) كقوله(إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)

(أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ)فلذلك صدر منهم ما صدر.

*فدل ذلك على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه و أنه إن حكم له رضى و إن لم يحكم له سخط فإن ذلك من عدم طهارة قلبه

*كما أن من حاكم و تحاكم إلى الشرع و رضى به وافق هواه أو خالفه فإنه من طهارة القلب

و دل على أن طهارة القلب سبب لكل خير و هو أكبر داع إلى كل قول رشيد و عمل سديد.

(لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٌۖ)فضيحة و عار

(وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)هو:–النار و سخط الجبار41

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ
وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ
﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ
وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ
لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ
فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ
وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ
وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ
فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

(سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ)

و السمع هاهنا سمع استجابة أى:–من قلة دينهم و عقلهم أن استجابوا لمن دعاهم إلى القول الكذب.

(أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ)كالرشوة و الربا

أى:–المال الحرام بما يأخذونه على سفلتهم و عوامهم من المعلومات و الرواتب التى بغير الحق

فجمعوا بين اتباع الكذب و أكل الحرام.

(فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ)قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ و غيره:هِيَ مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ:-(وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزلَ اللَّهُ)[الْمَائِدَةِ:49]

فأنت مخير فى ذلك.و ليست هذه منسوخة فإنه– عند تحاكم هذا الصنف إليه– يخير بين أن يحكم بينهم

(أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ)أو يعرض عن الحكم بينهم بسبب أنه لا قصد لهم في الحكم الشرعى إلا أن يكون موافقا

لأهوائهم و على هذا فكل مستفت و متحاكم إلى عالم يُعلم من حاله أنه إن حكم عليه لم يرض

لم يجب الحكم و لا الإفتاء لهم فإن حكم بينهم وجب أن يحكم بالقسط

و لهذا قال: (وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ)بِالْحَقِّ وَ الْعَدْلِ

*حتى و لو كانوا ظلمة و أعداء فلا يمنعك ذلك من العدل فى الحكم بينهم.

و فى هذا بيان فضيلة العدل و القسط فى الحكم بين الناس و أن الله تعالى يحبه(إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ)42

ثم قال متعجبا لهم:–(وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ)

فإنهم – لو كانوا مؤمنين عاملين بما يقتضيه الإيمان و يوجبه–لم يصدفوا عن حكم الله الذي في التوراة التي بين أيديهم لعلهم أن يجدوا عندك ما يوافق أهواءهم.

و حين حكمت بينهم بحكم الله الموافق لما عندهم أيضا لم يرضوا بذلك بل أعرضوا عنه فلم يرتضوه أيضا.

فجمعوا بين الكفر بشرعهم و الإعراض عن حكمك

قال تعالى:(وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ)الذين هذا صنيعهم(بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

ليس هذا دأب المؤمنين و ليسوا حريين بالإيمان لأنهم جعلوا آلهتهم أهواءهم و جعلوا أحكام الإيمان تابعة لأهوائهم43

الكتب السماوية يصدق بعضها بعضا و القرآن ينسخ ما قبله 44-50

(إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ)على موسى بن عمران عليه السلام

(فِيهَا هُدٗى)يهدى إلى الإيمان و الحق و يعصم من الضلالة

(وَنُورٞ)يستضاء به فى ظلم الجهل و الحيرة و الشكوك و الشبهات و الشهوات كما قال تعالى:–

(وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ)الأنبياء: ٤٨

(يَحۡكُمُ بِهَا)بين الذين هادوا أى:–اليهود فى القضايا و الفتاوى(ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ) لله و انقادوا لأوامره الذين إسلامهم أعظم من إسلام غيرهم و هم صفوة الله من العباد.

فإذا كان هؤلاء النبيون الكرام و السادة للأنام قد اقتدوا بها و ائتموا و مشوا خلفها

فما الذى منع هؤلاء الأراذل من اليهود من الاقتداء بها؟

و ما الذى أوجب لهم أن ينبذوا أشرف ما فيها من الإيمان بمحمدﷺالذى لا يقبل عمل ظاهر و باطن إلا بتلك العقيدة؟ هل لهم إمام فى ذلك؟

نعم لهم أئمة دأبهم التحريف و إقامة رياستهم و مناصبهم بين الناس و التأكل بكتمان الحق و إظهار الباطل أولئك أئمة الضلال الذين يدعون إلى النار.

(و)كذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من (وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ)أى:–

العلماء العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية و يسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين.

(وَٱلۡأَحۡبَارُ)العلماء الكبار الذين يقتدى بأقوالهم و ترمق آثارهم و لهم لسان الصدق بين أممهم.

و ذلك الحكم الصادر منهم الموافق للحق

(بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ)اسْتُوْدِعُوا–بسبب أن الله استحفظهم

(مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ)على كتابه و جعلهم أمناء عليه و هو أمانة عندهم أوجب عليهم حفظه من الزيادة و النقصان

و الكتمان و تعليمه لمن لا يعلمه.

(وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ)و هم شهداء عليه بحيث إنهم المرجوع إليهم فيه و فيما اشتبه على الناس منه فالله تعالى قد حمل أهل العلم ما لم يحمله الجهال فيجب عليهم :-

1-القيام بأعباء ما حملوا.

2-و أن لا يقتدوا بالجهال بالإخلاد إلى البطالة و الكسل

3-و أن لا يقتصروا على مجرد العبادات القاصرة من:-أنواع الذكر و الصلاة و الزكاة و الحج و الصوم و نحو ذلك من الأمور التى إذا قام بها غير أهل العلم سلموا و نجوا.

*و أما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم فإنهم مطالبون أن:-

1-يعلموا الناس و ينبهوهم على ما يحتاجون إليه من أمور دينهم خصوصا الأمور الأصولية و التي يكثر وقوعها

2-و أن لا يخشوا الناس بل يخشون ربهم

و لهذا قال: (فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ)فى تنفيذ حكمى فإنهم لا يقدرون على نفعكم و لا ضَرِّكم

و لكن(وَٱخۡشَوۡنِ)فإنى أنا النافع الضار

(وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ)فتكتمون الحق و تظهرون الباطل لأجل متاع الدنيا القليل و هذه الآفات إذا سلم منها العالم فهو من توفيقه و سعادته بأن:-

1-يكون همه الاجتهاد فى العلم و التعليم

2-و يعلم أن الله قد استحفظه ما أودعه من العلم و استشهده عليه

3-و أن يكون خائفا من ربه

4-و لا يمنعه خوف الناس و خشيتهم من القيام بما هو لازم له

5-و أن لا يؤثر الدنيا على الدين.

*كما أن علامة شقاوة العالم :-

1-أن يكون مخلدا للبطالة 2-غير قائم بما أمر به 3-و لا مبال بما استحفظ عليه قد أهمله و أضاعه

4-قد باع الدين بالدنيا 5-قد ارتشى فى أحكامه 6-و أخذ المال على فتاويه

7-و لم يعلم عباد الله إلا بأجرة و جعالة.

*فهذا قد من الله عليه بمنة عظيمة كفرها و دفع حظا جسيما محروما منه غيره فنسألك اللهم علما نافعا و عملا متقبلا و أن ترزقنا العفو و العافية من كل بلاء يا كريم.

(وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)من الحق المبين و حكم بالباطل الذى يعلمه لغرض من أغراضه الفاسدة

(فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ)فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر و قد يكون كفرا ينقل عن الملة

و ذلك إذا اعتقد حله و جوازه. و قد يكون كبيرة من كبائر الذنوب

و من أعمال الكفر قد استحق من فعله العذاب الشديد.

*الطبري 12052عن طاوس:(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)قال:ليس بكفرٍ ينقل عن الملّة.

*الطبرى 12054 عن ابن طاوس عن أبيه قال:-قال رجل لابن عباس في هذه الآيات(وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)

فمن فعل هذا فقد كفر؟

قال ابن عباس: إذا فعل ذلك فهو به كفر و ليس كمن كفر بالله و اليوم الآخر و بكذا و كذا.

*الطبرى

12047 عن عطاء قوله:(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)

قال: كفر دون كفر و فسق دون فسق و ظلم دون ظلم44

(وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ)

هذه الأحكام من جملة الأحكام التى فى التوراة يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا و الربانيون و الأحبار.

إن الله أوجب عليهم فيها أن النفس–إذا قتلت–تقتل بالنفس بشرط:–العمد و المكافأة و العين تقلع بالعين و الأذن تؤخذ بالأذن و السن ينزع بالسن.

و مثل هذه ما أشبهها من الأطراف التى يمكن الاقتصاص منها بدون حيف

(وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ)و الاقتصاص:–أن يفعل به كما فعل.

فمن جرح غيره عمدا اقتص من الجارح جرحا مثل جرحه للمجروح:–

حدا و موضعا و طولا و عرضا و عمقا و ليعلم أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه.

(فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ)

بالقصاص فى النفس و ما دونها من الأطراف و الجروح بأن عفا عمن جنى و ثبت له الحق قبله.

(فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ)أى للجانى لأن الآدمى عفا عن حقه. و الله تعالى أحق و أولى بالعفو عن حقه

و كفارة أيضا عن العافى فإنه كما عفا عمن جنى عليه أو على من يتعلق به فإن الله يعفو عن زلاته و جناياته.

*قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:-(فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ) يَقُولُ:-

فَمَنْ عَفَا عَنْهُ وَ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لِلْمَطْلُوبِ وَ أَجْرٌ لِلطَّالِبِ.وَ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ابْنِ عَبَّاسٍ:

(فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ)قَالَ:-كَفَّارَةٌ لِلْجَارِحِ وَ أَجْرُ الْمَجْرُوحِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

*البخارى 2703 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيُّ قَالَ:-حَدَّثَنِي حُمَيْدٌ أَنَّ أَنَسًا حَدَّثَهُمْ:-

أَنَّ الرُّبَيِّعَ وَ هِىَ ابْنَةُ النَّضْرِ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ(مفرد ثنايا وهي مقدم الأسنان)جَارِيَةٍ فَطَلَبُوا الأَرْشَ(دية الجراحة أو الأطراف)

وَ طَلَبُوا الْعَفْوَ(النزول عن حقهم وعدم أخذ الدية أو غيرها)

فَأَبَوْا فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَهُمْ بِالقِصَاصِ فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لاَ وَ الَّذِى بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا فَقَالَ: «يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ»

(حكم كتاب الله تعالى القصاص وهو أن تكسر السن مقابل السن)فَرَضِيَ القَوْمُ وَ عَفَوْا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

«إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ(لصدقه وحقق رغبته لما يعلم من صدقه وإخلاصه)»

الفَزَارِيُّ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ فَرَضِيَ القَوْمُ وَ قَبِلُوا الأَرْشَ

(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)

قال ابن عباس: كفر دون كفر و ظلم دون ظلم و فسق دون فسق

فهو ظلم أكبر عند استحلاله و عظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له.

*وَ هَذَا أَيْضًا مِمَّا وُبِّخَتْ بِهِ الْيَهُودُ وَ قُرِّعُوا عَلَيْهِ فَإِنَّ عِنْدَهُمْ فِي نَصِّ التَّوْرَاةِ:-
أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ. وَ هُمْ يُخَالِفُونَ ذَلِكَ عَمْدًا وَ عِنَادًا و يُقيدون النَّضْرِيَّ مِنَ الْقُرَظِيِّ وَ لَا يُقيدون الْقُرَظِيَّ مِنَ النَّضْرِيِّ بَلْ يَعْدِلُونَ إِلَى الدِّيَةِ كَمَا خَالَفُوا حُكْمَ التَّوْرَاةِ الْمَنْصُوصَ عِنْدَهُمْ فِي رَجْمِ الزَّانِي الْمُحْصَنِ وَ عَدَلُوا إِلَى مَا اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ مِنَ الْجَلْدِ وَ التَّحْمِيمِ وَ الْإِشْهَارِ

وَ لِهَذَا قَالَ هُنَاكَ:(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ)

لِأَنَّهُمْ جَحَدُوا حُكْمَ اللَّهِ قَصْدًا مِنْهُمْ وَ عِنَادًا وَ عَمْدًا

وَ قَالَ هَاهُنَا: (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)

لِأَنَّهُمْ لَمْ يُنْصِفُوا الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ فِي الْأَمْرِ الَّذِى أَمَرَ اللَّهُ بِالْعَدْلِ وَ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْجَمِيعِ فِيهِ فَخَالَفُوا وَ ظَلَمُوا وَ تَعَدَّى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

*وَ قَدِ اسْتَدَلَّ كَثِيرٌ مِمَّنْ ذَهَبَ مِنَ الْأُصُولِيِّينَ وَ الْفُقَهَاءِ إِلَى أَنَّ شَرْعَ مَنْ قَبْلَنَا شَرْعٌ لَنَا إِذَا حُكِيَ مُقَرَّرًا وَ لَمْ يُنْسَخْ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ عَنِ الْجُمْهُورِ

*وَ قَدِ احْتَجَّ الْأَئِمَّةُ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ يُقْتَلُ بِالْمَرْأَةِ بِعُمُومِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ و كَذَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِى رَوَاهُ أَبِي داود في سننه 2751 عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ:- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ"وَ هَذَا قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ.

*البخارى 6915 عن مُطَرِّفٌ سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يُحَدِّثُ قَالَ:-سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ قَالَ:-

سَأَلْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ؟وَ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ مَرَّةً: مَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ؟ فَقَالَ:«وَ الَّذِى فَلَقَ الحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي القُرْآنِ إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ

وَ مَا فى الصَّحِيفَةِ» قُلْتُ: وَ مَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: «العَقْلُ وَ فِكَاكُ الأَسِيرِ وَ أَنْ لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»45

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

(وَقَفَّيْنَا)أتبعنا(عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم)على آثار هؤلاء الأنبياءَ و المرسلين الذين يحكمون بالتوراة بعبدنا و رسولنا

(بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ)روحِ الله و كلمتِه التى ألقاها إلى مريم بعثه الله(مُصَدِّقًا)مؤمنا(لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ) حاكما بما فيها

*فهو شاهد لموسى و لما جاء به من التوراة بالحق و الصدق و مؤيد لدعوته و حاكم بشريعته و موافق له فى أكثر الأمور الشرعية.

و قد يكون عيسى عليه السلام أخف فى عليه السلام بعض الأحكام كما قال تعالى عنه أنه قال لبنى إسرائيل:-

(وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ)آل عمران: ٥٠

(وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ)الكتاب العظيم المتمم للتوراة.

(فِيهِ هُدًى وَنُورٌ)يهدى إلى الصراط المستقيم و يبين الحق من الباطل.

(وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ)بتثبيتها و الشهادة لها و الموافقة-الانجيل نسخ بعض أحكام التوراة

(وَهُدًى)فإنهم الذين ينتفعون بالهدى

(وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)و يتعظون بالمواعظ و يرتدعون عما لا يليق عن ارتكاب المحارم و المآثم46

(وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ)يلزمهم التقيد بكتابهم و لا يجوز لهم العدول عنه.

(وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ)

الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ الْمَائِلُونَ إِلَى الْبَاطِلِ التَّارِكُونَ لِلْحَقِّ وَ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي النَّصَارَى وَ هُوَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ47

(وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ)الذى هو القرآن العظيم أفضل الكتب و أجلُها.

(بِٱلْحَقِّ)إنزالا بالحق و مشتملا على الحق فى أخباره و أوامره و نواهيه.

(مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ)

لأنه شهد لها و وافقها و طابقت أخباره أخبارها و شرائعه الكبار شرائعها و أخبرت به فصار وجوده مصداقا لخبرها.

*مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ الْمُتَضَمِّنَةِ ذِكْرَه و مَدْحَه و أَنَّهُ سَيَنْزِلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَكَانَ نُزُولُهُ كَمَا أَخْبَرَتْ بِهِ مِمَّا زَادَهَا صِدْقًا عِنْدَ حَامِلَيْهَا مِنْ ذَوِى الْبَصَائِرِ الَّذِينَ انْقَادُوا لِأَمْرِ اللَّهِ و اتَّبَعُوا شَرَائِعَ اللَّهِ وَ صَدَّقُوا رُسُلَ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى(قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا) الإسراء

أَىْ:إِنْ كَانَ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ مَجِىءِ مُحَمَّدٍ ﷺ(لَمَفْعُولًا)لَكَائِنًا لَا مَحَالَةَ وَ لَا بُدَّ

(وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ)شهيدا-قيل حاكما على ما قبله و هذه الاقوال متقاربة المعنى

*أى:مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة و زيادة فى المطالب الإلهية و الأخلاق النفسية.

فهو الكتاب الذى تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به و حث عليه و أكثر من الطرق الموصلة إليه.

و هو الكتاب الذى فيه نبأ السابقين و اللاحقين و هو الكتاب الذى فيه الحكم و الحكمة و الأحكام الذى عرضت عليه الكتب السابقة فما شهد له بالصدق فهو المقبول و ما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف و التبديل و إلا فلو كان من عند الله لم يخالفه.

(فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)من الحكم الشرعى الذى أنزله الله عليك.

(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ)لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق بدلا

(عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ) فتستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير.

(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ)أيها الأمم جعلنا

(شِرْعَةً)سبيلا(وَمِنْهَاجًا)سنة

و هذه الشرائع التى تختلف باختلاف الأمم هى التى تتغير بحسب تغير الأزمنة و الأحوال و كلها ترجع إلى العدل فى وقت شرعتها

و أما الأصول الكبار التى هى مصلحة و حكمة في كل زمان فإنها لا تختلف فتشرع فى جميع الشرائع.

*البخارى3443 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:-قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-
«أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى(مختلفة و متعددة)
وَ دِينُهُمْ وَاحِدٌ»(هو دين التوحيد وهذا يفيد أن النسب الحقيقي هو نسب العقيدة والإيمان وبه يكون التفاضل لا بالآباء)
*يَعْنِي بِذَلِكَ التَّوْحِيدَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ وَ ضَمَّنَهُ كُلَّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى:-
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الْأَنْبِيَاءِ: 25]
وَ قَالَ تَعَالَى:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} الْآيَةَ [النَّحْلِ: 36]
وَ أَمَّا الشَّرَائِعُ فَمُخْتَلِفَةٌ فِي الْأَوَامِرِ وَ النَّوَاهِى فَقَدْ يَكُونُ الشَّيْءُ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ حَرَامًا ثُمَّ يَحِلُّ فِي الشَّرِيعَةِ الْأُخْرَى وَ بِالْعَكْسِ وَ خَفِيفًا فَيُزَادُ فِي الشِّدَّةِ فِي هَذِهِ دُونَ هَذِهِ.
وَ ذَلِكَ لِمَا لَهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَ الْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ.

(وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ)تبعا لشريعة واحدة لا يختلف متأخرها و لا متقدمها.

(وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ)

ليختبركم و ينظر كيف تعملون و يبتلى كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته و يؤتى كل أحد ما يليق به

و ليحصل التنافس بين الأمم فكل أمة تحرص على سبق غيرها(فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡ)

و لهذا قال:-(فَٱسۡتَبِقُواْ)بادروا و أكملوا(ٱلۡخَيۡرَٰتِ)

فإن الخيرات الشاملة لكل فرض و مستحب من حقوق الله و حقوق عباده لا يصير فاعلها سابقا لغيره مستوليا على الأمر إلا بأمرين:

1-المبادرة إليها

2-و انتهاز الفرصة حين يجيء وقتها و يعرض عارضها

3-و الاجتهاد فى أدائها كاملة على الوجه المأمور به.

و يستدل بهذه الآية على:-

1-المبادرة لأداء الصلاة و غيرها فى أول وقتها

2-و على أنه ينبغى أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ فى الصلاة و غيرها من العبادات من الأمور الواجبة

3-بل ينبغى أن يأتى بالمستحبات التى يقدر عليها لتتم و تكمل و يحصل بها السبق.

(إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا)الأمم السابقة و اللاحقة كلهم سيجمعهم الله ليوم لا ريب فيه.

(فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ)من الشرائع و الأعمال

فيثيب أهل الحق و العمل الصالح و يعاقب أهل الباطل و العمل السيئ48

(وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)هذه الآية هى التى قيل:-إنها ناسخة لقوله:{فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ}[المائدة: 42]

و الصحيح: أنها ليست بناسخة و أن تلك الآية تدل على أنه ﷺمخير بين الحكم بينهم و بين عدمه

و ذلك لعدم قصدهم بالتحاكم للحق.

و هذه الآية تدل على أنه إذا حكم فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب و السنة

و هو القسط الذي تقدم أن الله قال:-{وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ} [المائدة: 42]

و دل هذا على بيان القسط و أن مادته هو ما شرعه الله من الأحكام فإنها المشتملة على غاية العدل و القسط

و ما خالف ذلك فهو جور و ظلم.

(وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ)كرر النهى عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها.

و لأن ذلك فى مقام الحكم و الفتوى و هو أوسع و هذا فى مقام الحكم وحده و كلاهما يلزم فيه أن لا يتبع أهواءهم المخالفة للحق

و لهذا قال:-(وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ)أى:إياك و الاغترار بهم و أن يفتنوك فيصدوك(عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ)

فصار اتباع أهوائهم سببا موصلا إلى ترك الحق الواجب و الفرض اتباعه.

*احْذَرْ أَعْدَاءَكَ الْيَهُودَ أَنْ يُدَلِّسُوا عَلَيْكَ الْحَقَّ فِيمَا يُنْهُونه إِلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ فَلَا تَغْتَرَّ بِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَذبة كَفَرَة خَوَنَةٌ

(فَإِن تَوَلَّوۡاْ)عن اتباعك و اتباع الحق(فَٱعۡلَمۡ)أن ذلك عقوبة عليهم(أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ)و أن الله يريد

(أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ)فإن للذنوب عقوبات عاجلة و آجلة

و من أعظم العقوبات أن:-يبتلى العبد و يزين له ترك اتباع الرسول و ذلك لفسقه.

*فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ عَنْ قَدر اللَّهِ وَ حِكْمَتِهِ فِيهِمْ أَنْ يَصْرِفَهُمْ عَنِ الْهُدَى لِمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الذُّنُوبِ السَّالِفَةِ الَّتِي اقْتَضَتْ إِضْلَالَهُمْ وَ نَكَالَهُمْ.

(وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ)طبيعتهم الفسق و الخروج عن طاعة الله و اتباع رسوله49

(أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ)أفيطلبون بتوليهم و إعراضهم عنك حكم الجاهلية و هـــو :-

كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله.فلا ثم إلا حكم الله و رسوله أو حكم الجاهلية.

فمن أعرض عن الأول ابْتُلِىَ بالثانى المبنى على الجهل و الظلم و الغى و لهذا أضافه الله للجاهلية

و أما حكم الله تعالى فمبنى على:-العلم و العدل و القسط و النور و الهدى

(وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمًا)وَ مَنْ أَعْدَلُ مِنَ اللَّهِ فِي حُكْمِهِ

(لِّقَوۡمٍ يُوقِنُونَ)لِمَنْ عقل عَنِ اللَّهِ شَرْعَهُ وَ آمَنَ بِهِ وَ أَيْقَنَ وَ عَلِمَ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَ أَرْحَمُ بِخُلُقِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا فَإِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْعَالِمُ بِكُلِّ شَيْءٍ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الْعَادِلُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

*فالموقن هو الذى يعرف الفرق بين الحكمين و يميز-بإيقانه-ما فى حكم الله من الحسن و البهاء

و أنه يتعين-عقلا و شرعا-اتباعه.

و اليقين:– هو العلم التام الموجب للعمل.

*يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ المُحْكَم الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ النَّاهِى عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدْلٍ

إِلَى مَا سِوَاهُ مِنَ:-

1-الْآرَاءِ 2-وَ الْأَهْوَاءِ 3-وَ الِاصْطِلَاحَاتِ الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ

*كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِنَ الضَّلَالَاتِ وَ الْجَهَالَاتِ مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَ أَهْوَائِهِمْ

*وَ كَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ عَنْ مَلِكِهِمْ جِنْكِزْخَانَ الَّذِى وَضَعَ لَهُمُ الْيَساق :-

وَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابٍ مَجْمُوعٍ مِنْ أَحْكَام قَدِ اقْتَبَسَهَا عَنْ شَرَائِعَ شَتَّى مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَ النَّصْرَانِيَّةِ وَ الْإِسْلَامِيَّةِ

وَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ أَخَذَهَا مِنْ مُجَرَّدِ نَظَرِهِ وَ هَوَاهُ فَصَارَتْ فِي بَنِيهِ شَرْعًا مُتَّبَعًا يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ

بِكِتَابِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْمِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ﷺ فَلَا يَحْكُمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ

وَ لَا كَثِيرٍ50

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ) تحريم موالاة غير المؤمنين و وجوب موالاة الله و رسوله و المؤمنين 51-58

يرشد تعالى عباده المؤمنين حين بيَّن لهم أحوال اليهود و النصارى و صفاتهم غير الحسنة أن لا يتخذوهم (أَوْلِيَآءَ)فإن:-(بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ)يتناصرون فيما بينهم و يكونون يدا على من سواهم

فأنتم لا تتخذوهم أولياء فإنهم:-

1-الأعداء على الحقيقة و لا يبالون بضركم

2-بل لا يدخرون من مجهودهم شيئا على إضلالكم فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم و لهذا قال:-

(وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ)

لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم.

و التولي القليل يدعو إلى الكثير ثم يتدرج شيئا فشيئا حتى يكون العبد منهم.

*قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ عِياض:-
أَنَّ عُمَرَ أَمَرَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ مَا أَخَذَ وَ مَا أَعْطَى فِي أَدِيمٍ وَاحِدٍ وَ كَانَ لَهُ كَاتِبٌ نَصْرَانِيٌّ فَرَفَعَ إِلَيْهِ ذَلِكَ فَعَجِبَ عُمَرُ رضي الله عنه وَ قَالَ:-إِنَّ هَذَا لَحَفِيظٌ هَلْ أَنْتَ قَارِئٌ لَنَا كِتَابًا فِي الْمَسْجِدِ جَاءَ مِنَ الشَّامِ؟
فَقَالَ:-إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ عُمَرُ: أَجُنُبٌ هُوَ؟ قَالَ: لَا بَلْ نَصْرَانِيٌّ.
قَالَ:-فَانْتَهَرَنِي وَ ضَرَبَ فَخِذِي ثُمَّ قَالَ: -أَخْرِجُوهُ
ثُمَّ قَرَأَ:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}

(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ)الذين وصْفُهم الظلم و إليه يَرجعون و عليه يعولون.

فلو جئتهم بكل آية ما تبعوك و لا انقادوا لك51

*و لما نهى الله المؤمنين عن توليهم أخبر أن ممن يدعى الإيمان طائفةً تواليهم فقال:–

(فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)شك و نفاق و ضعف إيمان يقولون:–إن تولينا إياهم للحاجة

فإننا(نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ)تكون الدائرة لليهود و النصارى

فإذا كانت الدائرة لهم فإذا لنا معهم يد يكافؤننا عنها و هذا سوء ظن منهم بالإسلام

*يَتَأَوَّلُونَ فِي مَوَدَّتِهِمْ وَ مُوَالَاتِهِمْ أَنَّهُمْ يَخْشَوْنَ أَنْ يَقَعَ أَمْرٌ مِنْ ظَفْرِ الْكُفَّارِ بِالْمُسْلِمِينَ فَتَكُونُ لَهُمْ أَيَادٍ عِنْدَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى فَيَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ

قال تعالى–رادا لظنهم السيئ–:–(فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِىَ بِٱلۡفَتۡحِ)

أى فتح مكة-أو الفتح الذى يعز الله به الإسلام على اليهود و النصارى و المشركين و يقهرهم المسلمون

(أَوۡ أَمۡرٍ مِّنۡ عِندِهِۦ)ضرب الجزية على اليهود و النصارى-ييأس به المنافقون من ظفر الكافرين من اليهود و غيرهم

(فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ)أضمروا

(فِىٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ)على ما كان منهم و ضرهم بلا نفع حصل لهم فحصل الفتح الذى نصر الله به الإسلام

و المسلمين و أذل به الكفر و الكافرين فندموا و حصل لهم من الغم ما الله به عليم52

(وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ)متعجبين من حال هؤلاء الذين فى قلوبهم مرض:–

(أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ)حلفوا(بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ۙ)و أكدوا حلفهم و غلَّظوه بأنواع التأكيدات:–

(إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ)فى الإيمان و ما يلزمه من:–النصرة و المحبة و الموالاة

ظهر ما أضمروه و تبين ما أسروه و صار كيدهم الذى كادوه و ظنهم الذى ظنوه بالإسلام و أهله – باطلا

(حَبِطَتۡ)فبطل كيدهم و بطلت

(أَعۡمَٰلُهُمۡ)فى الدنيا

(فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ)حيث فاتهم مقصودهم و حضرهم الشقاء و العذاب53

*يخبر تعالى أنه الغنى عن العالمين فقال:–

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ)يرجع عن الحق الى الباطل فلن يضر الله شيئا و إنما يضر نفسه.

(فَسَوۡفَ يَأۡتِى ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ)يستبدل الله به من هو خيرا لها منه و أشد منعة و أقوم سبيلا كقوله:-

(وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم)محمد: ٣٨(إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ)إبراهيم

*فلله عبادا مخلصين و رجالا صادقين قد تكفل الرحمن الرحيم بهدايتهم و وعد بالإتيان بهم و أنهم أكمل الخلق أوصافا و أقواهم نفوسا و أحسنهم أخلاقا أجلُّ صفاتهم أن الله(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ)

فإن محبة الله للعبد هى أجل نعمة أنعم بها عليه و أفضل فضيلة تفضل الله بها عليه

*و إذا أحب الله عبدا:-

1-يسر له الأسباب

2-و هون عليه كل عسير

3-و وفقه لفعل الخيرات و ترك المنكرات

4-و أقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة و الوداد.

*و من لوازم محبة العبد لربه أنه لابد :-

1-أن يتصف بمتابعة الرسول ﷺظاهرا و باطنا فى:-أقواله و أعماله و جميع أحوالهكما قال تعالى:-

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)

2-أن يكثر العبدُ من التقرب إلى الله بالفرائض و النوافلكما قال النبى ﷺفى البخارى6502 عن اللهﷻ:-

وَ مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِى بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَ مَا يَزَالُ عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ وَ بَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ وَ يَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا وَ رِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا وَ إِنْ سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ وَ لَئِنِ اسْتَعَاذَنِى لَأُعِيذَنَّهُ وَ مَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَ أَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ "

3-و من لوازم محبة الله معرفته تعالى

4-و الإكثار من ذكره فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا بل غير موجودة و إن وجدت دعواها

و من أحب الله أكثر من ذكره

*و إذا أحب الله عبدا قَبِلَ منه اليسير من العمل و غفر له الكثير من الزلل.

*و من صفاتهم أنهم(أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ)فهم للمؤمنين أذلة من:-

1-محبتهـم لهم

2-و نصحهم لهم

3-و لينهم و رفقهم و رأفتهم و رحمتهم بهم و سهولة جانبهم و قرب الشيء الذى يطلب منهم

و على الكافرين بالله المعاندين لآياته المكذبين لرسله –

(أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ)

قد اجتمعت هممهم و عزائمهم على معاداتهم و بذلوا جهدهم فى كل سبب يحصل به الانتصار عليهم

قال تعالى:-(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ

و قال تعالى:-(مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ) الفتح: ٢٩

*فالغلظة و الشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله و يوافق العبد ربه فى سخطه عليهم و لا تمنع الغلظة عليهم و الشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامى بالتى هى أحسن.

فتجتمع الغلظة عليهم و اللين فى دعوتهم و كلا الأمرين من مصلحتهم و نفعه عائد إليهم.

(يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)بأموالهم و أنفسهم بأقوالهم و أفعالهم.

بل يقدمون رضا ربهم (وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ)من لوم المخلوقين و هذا يدل على:-قوة هممهم و عزائمهم

*فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة:-

1-تنتقض عزيمته عند لوم اللائمين

2-و تفتر قوته عند عذل العاذلين.

3-و فى قلوبهم تعبد لغير الله بحسب ما فيها من:-مراعاة الخلق و تقديم رضاهم و لومهم على أمر الله فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله حتى لا يخاف فى الله لومة لائم.

*و لمَّا مدحهم تعالى بما من به عليهم منَ الصفات الجليلة و المناقب العالية المستلزمة لما لم يذكر من أفعال الخير ←أخبر أن هذا من فضله عليهم و إحسانه:-

1- لئلا يُعْجَبُوا بأنفسهم

2-و ليشكروا الذى مَنَّ عليهم بذلك ليزيدهم من فضله

3-و ليعلم غيرُهم أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب فقال:-

(ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ)الفضل و الإحسان جزيل المنن

قد عمت رحمته كل شيء و يوسع على أوليائه من فضله ما لا يكون لغيرهم

و لكنه(عَلِيمٌ)بمن يستحق الفضل فيعطيه فالله أعلم حيث يجعل رسالته أصلا و فرعا54

غيِّري وإلا تُغيَّري!

مررتُ ذات يوم وأنا أقرأ في كتاب الله بآية لكأنني أقرؤها لأول مرة، وقفتُ هذه المرة أمامها وقوفًا طويلا، انتهى بي إلى بكاءٍ شديد ولَّد في أعماقي إصرارًا كبيرًا وقوةً لا تقف عند حدٍّ في تغيير واقع نفسي وأمتي ولو خطوة واحدة إلى الأمام، لقد أحسستُ بقشعريرة لا تزال تسري في أوصالي كلما ردَّدتها، وكأنّها تناديني قائلةً: غيِّــري وإلا تُغيَّــري!

إنها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3]، إنه فضلُ الله يؤتيه من يشاء،

[3] المائدة: ٥٤.

وإني لأسأل الله أن أكون ممن يُؤتاه بمنته ورحمته، وأن نكون ممن يستعملهم سبحانه

في طاعته وخدمة دينه، لا ممن يستبدلهم... آمين.

*لما نهى عن ولاية الكفار من اليهود والنصارى و غيرهم و ذكر مآل توليهم أنه الخسران المبين أخبر تعالى مَن يجب و يتعين توليه و ذكر فائدة ذلك و مصلحته فقال:-

(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ)إنما ناصركم-أيُّها المؤمنون-(ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ)يحافظون على(ٱلصَّلَوٰةَ)المفروضة

(وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ)عن رضا نفس و هم خاضعون لله.

*فولاية الله تدرك بالإيمان و التقوى.

*فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا و من كان وليا لله فهو ولي لرسوله و من تولى الله و رسوله كان تمام ذلك

←تولى من تولاه

و هم المؤمنون الذين :-

1-قاموا بالإيمان ظاهرا و باطنا

2-و أخلصوا للمعبود بإقامتهم الصلاة بشروطها و فروضها و مكملاتها

3-و أحسنوا للخلق

4-و بذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم.

(وَهُمۡ رَٰكِعُونَ)خاضعون لله ذليلون. فأداة الحصر في قوله:-(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا)

تدل على أنه:-

1-يجب قصر الولاية على المذكورين

2-و التبرى من ولاية غيرهم55

*ثم ذكر فائدة هذه الولاية فقال:-

(وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)فإنه من الحزب المضافين إلى الله إضافة عبودية و ولاية

(فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ)

و حزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا و الآخرة كما قال تعالى:-(وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

و هذه بشارة عظيمة لمن قام بأمر الله و صار من حزبه و جنده أن له الغلبة و إن أديل عليه في بعض الأحيان

لحكمة يريدها الله تعالى فآخر أمره الغلبة و الانتصار و من أصدق من الله قيلا56

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ)ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ من اتخذ (دِينَكُمۡ):-

(هُزُوٗا)يَسْتَهْزِئُونَ بِهَا

(وَلَعِبًا)يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ اللَّعِبِ فِي نَظَرِهِمُ الْفَاسِدِ وَ فِكْرِهِمُ الْبَارِدِ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:-

وَ كَمْ مِنْ عَائِبٍ قَولا صَحِيحًا ... و آفَتُهُ مِن الْفَهم السَّقِيمِ

(مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ) أهل الكتاب من اليهود و النصارى كذلك:-

(وَٱلْكُفَّارَ)من سائر الكفار-المراد بالكفار ها هنا :المشركون

(أَوْلِيَآءَ):-

1-يحبونهم و يتولونهم

2-و يبدون لهم أسرار المؤمنين

3-و يعاونونهم على بعض أمورهم التى تضر الإسلام و المسلمين

و أن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم:- 1-ترك موالاتهم 2-و يحثهم على معاداتهم

(وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

و كذلك التزامهم لتقوى الله التى هى امتثال أوامره و اجتناب زواجره مما تدعوهم إلى معاداتهم57

....

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

و كذلك ما كان عليه المشركون و الكفار المخالفون للمسلمين من:-

1-قدحهم في دين المسلمين 2-و اتخاذهم إياه هزوا و لعبا و احتقاره و استصغاره

خصوصا الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين و أجلُّ عباداتهم فقال الله:-

(وَإِذَا نَادَيْتُمْ)أذَّن مؤذنكم-أيها المؤمنون(إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ)

(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ)و ذلك لعدم عقلهم و لجهلهم العظيم بربهم

*و إلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها فهم لا يعقلون حقيقة العبادة و أنها أكبر من جميع الفضائل التي تتصف بها النفوس.

*فإذا علمتم-أيها المؤمنون-حال الكفار و شدة معاداتهم لكم و لدينكم فمن لم يعادهم بعد هذا دل على:-

1-أن الإسلام عنده رخيص 2-و أنه لا يبالي بمن قدح فيه أو قدح بالكفر و الضلال

3-و أنه ليس عنده من المروءة و الإنسانية شيء.

فكيف تدعى لنفسك دينا قيما و أنه الدين الحق و ما سواه باطل و ترضى بموالاة من اتخذه هزوا و لعبا

و سخر به و بأهله من:-أهل الجهل و الحمق؟!

و هذا فيه من التهييج على عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم﴿٥٨﴾

(قُلْ)يا أيها الرسول(يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ)ملزما لهم إن دين الإسلام هو الدين الحق و إن قدحهم فيه قدح بأمر ينبغي

المدح عليه:-(هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ)

أى: هل لنا عندكم من العيب إلا إيماننا بالله و بكتبه السابقة و اللاحقة و بأنبيائه المتقدمين و المتأخرين

و بأننا نجزم أن من لم يؤمن كهذا الإيمان فإنه كافر فاسق؟

من قبائح اهل الكتاب مع ربهم و شرك النصارى بالله 59-76

فهل تنقمون منا بهذا الذى هو أوجب الواجبات على جميع المكلفين؟

وَ هَذَا لَيْسَ بِعَيْبٍ وَ لَا مَذَمَّةٍ فَيَكُونُ الِاسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعًا كَمَا قَالَ:-

{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}[الْبُرُوجِ:8]وَ كَقَوْلِهِ:{وَمَا نَقَمُوا إِلا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ}[التَّوْبَةِ:74]

وَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: البخارى1468 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ:-

أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِالصَّدَقَةِ فَقِيلَ مَنَعَ ابْنُ جَمِيلٍ وَ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ وَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَمِيلٍ(ما يكره وينكر) إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ

وَ أَمَّا خَالِدٌ:-فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَ أَعْتُدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.وَ أَمَّا العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ:-

فَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺفَهِىَ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ(ثابتة مستحقة سيتصدق بها)وَ مِثْلُهَا مَعَهَا(و يتصدق بمثلها معها كرما منه)"

(و)مع هذا(وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ)خارجون عن طاعة الله متجرئون على معاصيه

*فأولى لكم – أيها الفاسقون– السكوت فلو كان عيبكم و أنتم سالمون من الفسق

و هيهات ذلك – لكان الشر أخف من قدحكم فينا مع فسقكم59

*و لمّا كان قدحهم فى المؤمنين يقتضى أنهم يعتقدون أنهم على شر قال تعالى:–

(قُلْ)لهم مخبرا عن شناعة ما كانوا عليه:–(هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ)الذى نقمتم فيه علينا مع التنزل معكم.

(مَثُوبَةً)جزاء(عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ)أبعده عن رحمته(وَغَضِبَ عَلَيْهِ)و عاقبه فى الدنيا و الآخرة

ومَسَخ خَلْقهم(وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ)بعصيانهم و افترائهم و تكبرهم

*مسلم(2663) عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ:-قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ:-

اللهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَ بِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَ بِأَخِى مُعَاوِيَةَ قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

«قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَ أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَ أَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ(و هذا الحديث صريح في أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه فى الأزل فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك)

وَ لَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَ أَفْضَلَ»

قَالَ:-وَ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ الْقِرَدَةُ قَالَ مِسْعَرٌ:-وَ أُرَاهُ قَالَ: وَ الْخَنَازِيرُ مِنْ مَسْخٍ فَقَالَ:-

«إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلًا وَ لَا عَقِبًا وَ قَدْ كَانَتِ الْقِرَدَةُ وَ الْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ»

(أى قبل مسخ بنى إسرائيل فدل ذلك على أنها ليست من المسخ)

(وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ)و هو الشيطان و كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت و هو راض بذلك

(أُوْلَٰٓئِكَ)المذكورون بهذه الخصال القبيحة

(شَرٌّ مَّكَانًا)ساء مكانهم فى الآخرة

–من المؤمنين الذين رحمة الله قريب منهم و رضى الله عنهم و أثابهم فى الدنيا و الآخرة لأنهم أخلصوا له الدين و هذا النوع من باب استعمال أفعل التفضيل فى غير بابه و كذلك قوله:–

(وَأَضَلُّ)أُبْعِدَ(عَن سَوَآءِ)قصد(ٱلسَّبِيلِ)فى الدنيا عن الطريق الصحيح60

(وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا)نفاقا و مكرا وهم مقيمون على كفرهم

(وَقَد دَّخَلُواْ)عليكم(بِٱلْكُفْرِ)أى: بكفرهم الذى يعتقدونه بقلوبهم

(وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ)ثم خرجوا وهم مصرُّون عليه و الله أعلم بسرائرهم و إن أظهروا خلاف ذلك.

وَ هُوَ كَامِنٌ فِيهَا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا قَدْ سَمِعُوا مِنْكَ مِنَ الْعِلْمِ وَ لَا نَجَعَتْ فِيهِمُ الْمَوَاعِظُ وَ لَا الزَّوَاجِرُ

مشتملين على الكفر فمدخلهم و مخرجهم بالكفر–و هم يزعمون أنهم مؤمنون فهل أشر من هؤلاء و أقبح حالا منهم؟ وَ لِهَذَا قَالَ:-

(وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ)فَخَصَّهُمْ بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ(وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ)فيجازيهم بأعمالهم خيرها و شرها61

*ثم استمر تعالى يعدد معايبهم انتصارا لقدحهم فى عباده المؤمنين فقال:–

(وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ)أى :من اليهود

(يُسَٰرِعُونَ)يحرصون و يبادرون(فِى ٱلْإِثْمِ)المعاصى المتعلقة فى حق الخالق

(وَٱلْعُدْوَٰنِ)على المخلوقين(وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ)و أكل أموال الناس بالباطل الذى هو الحرام.

فلم يكتف بمجرد الإخبار أنهم يفعلون ذلك حتى أخبر أنهم يسارعون فيه و هذا يدل على:–

1–خبثهم و شرهم 2–و أن أنفسهم مجبولة على حب المعاصى و الظلم.

هذا و هم يدعون لأنفسهم المقامات العالية (لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)و هذا فى غاية الذم لهم و القدح فيهم62

(لَوْلَا)هلا(يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ):–الْعُلَمَاءُ الْعُمَّالُ أَرْبَابُ الْوِلَايَاتِ عَلَيْهِمْ (وَٱلْأَحْبَارُ)هُمُ الْعُلَمَاءُ فَقَطْ

أى:ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس الذين من الله عليهم:–بالعلم و الحكمة

(عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ)عن المعاصى التى تصدر منهم لـــ:–

1–يزول ما عندهم من الجهل 2–و تقوم حجة الله عليهم

فإن العلماء عليهم:–

1–أمر الناس و نهيهم 2–و أن يبينوا لهم الطريق الشرعى 3–و يرغبونهم فى الخير و يرهبونهم من الشر

(لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) 63

يخبر تعالى عن مقالة اليهود الشنيعة و عقيدتهم الفظيعة فقال:–

(وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ)

محبوسة عن الخير و الإحسان و البر.بَخِلَ علينا بالرزق و التوسعة و ذلك حين لحقهم جَدْب و قحط.
*وَ قَدْ رَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ مَا قَالُوهُ وَ قَابَلَهُمْ فِيمَا اخْتَلَقُوهُ وَ افْتَرَوْهُ وَ ائْتَفَكُوهُ فَقَالَ:-

(غُلَّتۡ)حبست (أَيۡدِيهِمۡ)هم عن فِعْلِ الخيرات(وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ)
وَ هَكَذَا وَقَعَ لَهُمْ فَإِنَّ عِنْدَهُمْ مِنَ الْبُخْلِ وَ الْحَسَدِ وَ الْجُبْنِ وَ الذِّلَّةِ أَمْرٌ عَظِيمٌ
كَمَا قَالَ تَعَالَى:{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا}النِّسَاءِ
وَ قَالَ تَعَالَى: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ}[آلِ عِمْرَانَ:112]

*و هذا دعاء عليهم بجنس مقالتهم. فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم بالبخل و عدم الإحسان.

فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم.فكانوا:-

1-أبخل الناس و أقلهم إحسانا و أسوأهم ظنا بالله

2-و أبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء و ملأت أقطار العالم العلوى و السفلى.

و لهذا قال: (بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ)

*البخارى 7419 عَنْ أَبِي رضي الله عنه هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:-
«إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَ الأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ وَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَ بِيَدِهِ الأُخْرَى الْفَيْضُ-أَوِ الْقَبْضُ-يَرْفَعُ وَ يَخْفِضُ»

*لا حجر عليه و لا مانع يمنعه مما أراد فإنه تعالى قد بسط فضله و إحسانه الدينى و الدنيوى

و أمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده و أن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بمعاصيهم.

فيداه سحاء الليل و النهار و خيره في جميع الأوقات مدرارا يفرج كربا و يزيل غما و يغني فقيرا و يفك أسيرا

و يجبر كسيرا و يجيب سائلا و يعطى فقيرا عائلا و يجيب المضطرين و يستجيب للسائلين.

و ينعم على من لم يسأله و يعافى من طلب العافية و لا يحرم من خيره عاصيا

*بل خيره يرتع فيه البر و الفاجر و يجود على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال ثم يحمدهم عليها

و يضيفها إليهم و هى من جوده و يثيبهم عليها من الثواب العاجل و الآجل ما لا يدركه الوصف

و لا يخطر على بال العبد و يلطف بهم فى جميع أمورهم و يوصل إليهم من الإحسان

و يدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه فسبحان من كل النعم التي بالعباد فمنه

و إليه يجأرون في دفع المكاره و تبارك من لا يحصى أحد ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه

و تعالى من لا يخلو العباد من كرمه طرفة عين بل لا وجود لهم و لا بقاء إلا بجوده.

*و قبّح الله من استغنى بجهله عن ربه و نسبه إلى ما لا يليق بجلاله

*بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك المقالة و نحوهم ممن حاله كحالهم ببعض قولهم لـ:-

1-هــلكوا 2-و شقوا فى دنياهم

و لكنهم يقولون تلك الأقوال و هو تعالى يحلم عنهم و يصفح و يمهلهم و لا يهملهم.

(وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم)لكنهم سوف يزدادون بسبب :-حقدهم و حسدهم

بـسبب(مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ)فالله قد اصطفاك بالرسالة

(طُغْيَٰنًا)المبالغة و المجاوزة للحد فى الاشياء

(وَكُفْرًاۚ)تكذيبا كقوله:-

(قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ)فصلت: ٤٤

*و هذا أعظم العقوبات على العبد أن يكون الذكر الذى أنزله الله على رسوله الذى فيـه :-

1-حياة القلب و الروح 2-و سعادة الدنيا و الآخرة 3-و فلاح الدارين الذى هو أكبر منة امتن الله بها على عباده توجـب عليهـم :-

1-المبادرة إلى قبولها 2-و الاستسلام لله بها 3-و شكرا لله عليها

و أن تكون لمثل هذا زيـادة:-

1-غى إلى غيه 2-و طغيان إلى طغيانه 3-و كفر إلى كفره

و ذلك بسبـب:-

1-إعراضه عنها 2-و رده لها 3-و معاندته إياها 4-و معارضته لها بالشبه الباطلة.

فلا يتآلفون و لا يتناصرون و لا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم

(وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ)بل لم يزالوا متباغضين فى قلوبهم متعادين بأفعالهم(إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ)

(كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ)ليكيدوا بها الإسلام و أهله و أبدوا و أعادوا و أجلبوا بخيلهم و رجلهم

(أَطْفَأَهَا)أبطلها

(ٱللَّهُ)و رد كيدهم عليهم و حاق مكرهم السئ بهم بخذلانهم و تفرق جنودهم و انتصار المسلمين عليهم.

(وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ)يجتهدون و يَجِّدون و لكن بالفساد في الأرض بـــ:-

1-عمل المعاصى 2-و الدعوة إلى دينهم الباطل 3-و التعويق عن الدخول فى الإسلام.

(وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ)بل يبغضهم أشد البغض و سيجازيهم على ذلك64

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟)

و هذا من كرمه و جوده حيث ذكر قبائح أهل الكتاب و معايبهم و أقوالهم الباطلة دعاهم إلى التوبة

و أنهم لو آمنوا بالله و ملائكته و جميع كتبه و جميع رسله (وَٱتَّقَوْا۟)المعاصى لـــــ:–

1–(لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ)و لو كانت ما كانت

2–(وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ)التى فيها ما تشتهيه الأنفس و تلذ الأعين65

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ)قاموا بأوامرهما و نواهيهما كما ندبهم الله و حثهم.

و من إقامتهما الإيمان:–

بما دعيا إليه من الإيمان بمحمد ﷺ و بالقرآن فلو قاموا بهذه النعمة العظيمة التى أنزلها ربهم إليهم أى:–

لأجلهم و للاعتناء بهم

(لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ)أى: لأدر الله عليهم الرزق و لأمطر عليهم السماء

(وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم)مِنْ غَيْرِ كَد وَ لَا تَعَبٍ وَ لَا شَقَاءٍ وَ لَا عَنَاءٍ و أنبت لهم الأرض كما قال تعالى:–

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ)الأعراف: ٩٦

*(وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ)الأعراف: ١٥٩ و كقوله عن أتباع عيسى:-

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ)الحديد ١٩

(مِّنۡهُمۡ)أى: من أهل الكتاب

(أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ)أى: عاملة بالتوراة و الإنجيل عملا غير قوى و لا نشيط

*فَجَعَلَ أَعْلَى مَقَامَاتِهِمُ الِاقْتِصَادَ وَ هُوَ أَوْسَطُ مَقَامَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَ فَوْقَ ذَلِكَ رُتْبَةُ السَّابِقَيْنِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا}فَاطِرٍ 32 وَ الصَّحِيحُ أَنَّ الْأَقْسَامَ الثَّلَاثَةَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ.

(وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ)أى:—و المسيء منهم الكثير. و أما السابقون منهم فقليل ما هم66

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ)

*هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺأعظم الأوامر و أجلها و هو التبليغ لما أنزل الله إليه

و يدخل فى هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺمن:—

العقائد و الأعمال و الأقوال و الأحكام الشرعية و المطالب الإلهية

فبلغ ﷺأكمل تبليغ و دعا و أنذر و بشَّر و يسَّر و علم الجُهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين

و بلغ بقوله و فعله و كتبه و رسله.

فلم يبق خير إلا دل أمته عليه و لا شر إلا حذرها عنه و شهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة

فمن بعدهم من أئمة الدين و رجال المسلمين.

(وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ)أى:لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك

(فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ)فما امتثلت أمره لأن كتمان بعضها ككتمان كلها

(وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ)يحميك و يحفظك من أن ينالك أذى(مِنَ ٱلنَّاسِۗ)

هذه حماية و عصمة من الله لرسوله من الناس و أنه ينبغى أن يكون حرصك على التعليم و التبليغ

و لا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله

و قد تكفل بعصمتك فأنت إنما عليك البلاغ المبين فمن اهتدى فلنفسه

*الصحيح المسند من أسباب النزول:-موارد الظمآن 1739- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:-

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإذا نزل منزلا نظرُوا أعظم شَجَرَة يرونها فجعلوها للنَّبِي ﷺفينزل تحتهَا وَ ينزل أَصْحَابه بعد ذَلِك فِي ظلّ الشّجر فَبَيْنَمَا هُوَ نَازل تَحت شَجَرَة وَ قد علق السَّيْف عَلَيْهَا إِذْ جَاءَ أَعْرَابِي فَأخذ السَّيْف من الشَّجَرَة ثمَّ دنا من النَّبِي ﷺوَ هُوَ نَائِم فأيقظه فَقَالَ يَا مُحَمَّد من يمنعك مني اللَّيْلَة فَقَالَ النَّبِي ﷺ:- الله فَأنْزل الله {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}

*البخارى4612 عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:-

«مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًاﷺكَتَمَ شَيْئًا(أخفاه فى نفسه ولم يبلغه للناس)مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَقَدْ كَذَبَ»

وَ اللَّهُ يَقُولُ(أى كيف يكتم شيئا والحال أن الله تعالى أمره بالتبليغ مطلقا وحذره من الكتمان):{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: 67] الآيَةَ

البخارى7531 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ«مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الوَحْيِ فَلاَ تُصَدِّقْهُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ»{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}[المائدة: 67]

*مسلم1218-قال النبى ﷺ:-فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ وَ اسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَ لَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللهِ وَ أَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»قَالُوا:-
نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَ أَدَّيْتَ وَ نَصَحْتَ فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَ يَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللهُمَّ اشْهَدْ اللهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

*وَ مِنْ عِصْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِه :-

1-حِفْظُه لَهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَ صَنَادِيدِهَا وَ حُسَّادِهَا و مُعَانديها وَ مُتْرَفِيهَا مَعَ شِدَّةِ الْعَدَاوَةِ و البَغْضة وَ نَصْبِ الْمُحَارَبَةِ لَهُ لَيْلًا وَ نَهَارًا بِمَا يَخْلُقُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَسْبَابِ الْعَظِيمَةِ بقَدَره وَ حِكْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ.

2-فَصَانَهُ فِي ابْتِدَاءِ الرِّسَالَةِ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِذْ كَانَ رَئِيسًا مُطَاعًا كَبِيرًا فِي قُرَيْشٍ وَ خَلَقَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةً طَبِيعِيَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا شَرْعِيَّةً وَ لَوْ كَانَ أَسْلَمَ لَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ كُفَّارُهَا وَ كِبَارُهَا وَ لَكِنْ لَمَّا كَانَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَهُمْ قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ فِي الْكُفْرِ هَابُوهُ وَ احْتَرَمُوهُ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ نَالَ مِنْهُ الْمُشْرِكُونَ أَذًى يَسِيرًا

3-ثُمَّ قَيَّضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْأَنْصَارَ فَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَ عَلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى دَارِهِمْ -وَ هِيَ الْمَدِينَةُ فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا حَمَوه مِنَ الْأَحْمَرِ وَ الْأَسْوَدِ

4-فَكُلَّمَا هَمَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ أَهْلِ الْكِتَابِ بِسُوءٍ كَادَهُ اللَّهُ وَ رَدَّ كَيْدَهُ عَلَيْهِ لَمَّا كَادَهُ الْيَهُودُ بِالسِّحْرِ حَمَاهُ اللَّهُ مِنْهُمْ وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ سُورَتَيِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ دَوَاءً لِذَلِكَ الدَّاءِ

5-وَ لَمَّا سَمَّ الْيَهُودُ فِي ذِرَاعِ تِلْكَ الشَّاةِ بِخَيْبَرَ أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهِ وَ حَمَاهُ اللَّهُ مِنْهُ وَ لِهَذَا أَشْبَاهٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا يَطُولُ ذِكْرُهَا

و أما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم:-

فـ(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ)و لا يوفقهم للخير بسبب كفرهم﴿٦٧﴾

(قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ)مناديا على ضلالهم و معلنا بباطلهم:-

(لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ)من الأمور الدينية فإنكم لا بالقرآن و محمد آمنتم و لا بنبيكم و كتابكم صدقتم و لا بحق تمسكتم و لا على أصل اعتمدتم

(حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ)تجعلوهما قائمين بالإيمان بهما و اتباعهما و التمسك بكل ما يدعوان إليه.

(وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ)

(و) تقيموا الذى رباكم و أنعم عليكم و جعل أجلَّ إنعامه إنزالَ الكتب إليكم. فالواجب عليكم:-

1-أن تقوموا بشكر الله 2-و تلتزموا أحكام الله 3-و تقوموا بما حَمَلْتُم من أمانة الله و عهده.

(وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم)لكنهم سوف يزدادون بسبب(مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ)

(طُغۡيَٰنٗا)المبالغة و المجاوزة للحد في الاشياء (وَكُفۡرٗاۚ)و تكذيبا بسبب:-حقدهم و حسدهم كقوله:-

(قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ)فصلت: ٤٤

(فَلَا تَأۡسَ)تَحْزَنْ(عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ)وَ لَا يَهيدنَّك ذَلِكَ مِنْهُمْ﴿٦٨﴾

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)يخبر تعالى عن أهل الكتب من أهل القرآن -المسلمون

(وَٱلَّذِينَ هَادُواْ)اليهود هم أهل التوراة

(وَٱلصَّٰبِـُٔونَ)و هم قوم باقون على فطرتهم و لا دين مقرر لهم يتبعونه

(وَٱلنَّصَٰرَىٰ)أهل الانجيل

*وَ الْمَقْصُودُ:- أَنَّ كُلَّ فِرْقَةٍ آمَنَتْ بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ هُوَ الْمَعَادُ وَ الْجَزَاءُ يَوْمُ الدِّينِ وَ عَمِلَتْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ مُوَافِقًا لِلشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بَعْدَ إِرْسَالِ صَاحِبِهَا الْمَبْعُوثِ إِلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ

(مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا)أن سعادتهم و نجاتهم فى طريق واحد و أصل واحد و هو:-

1-الإيمان بالله 2-و اليوم الآخر 3-و العمل الصالح فمن آمن منهم بالله و اليوم الآخر فله النجاة

(فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ)فيما يستقبلونه من الأمور المخوفة

(وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ)على ما خلفوا منها. و هذا الحكم المذكور يشمل سائر الأزمنة﴿٦٩﴾

(لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ)العهد الثقيل على(بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)بالإيمان بالله و القيام بواجباته كما فى قوله:-

(وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا)إلى آخر الآيات.

(وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ)يتوالون عليهم بالدعوة و يتعاهدونهم بالإرشاد و لكن ذلك لم ينجع فيهم و لم يفد

(كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ)بما لا تشتهيه

(أَنفُسُهُمۡ)من الحق كذبوه و عاندوه و عاملوه أقبح المعاملة

(فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ)﴿٧٠﴾

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

(وَحَسِبُوٓاْ)ظنوا(أَلَّا تَكُونَ)بأن معصيتهم و تكذيبهم لا يجر عليهم(فِتۡنَةٞ)عذابا و لا عقوبة فاستمروا على باطلهم.

(فَعَمُواْ وَصَمُّواْ)عن الحق (ثُمَّ)نعشهم و (تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ)حين تابوا إليه و أنابوا

(ثُمَّ)لم يستمروا على ذلك حتى انقلب أكثرهم إلى الحال القبيحة. فـ(عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ) بهذا الوصف و القليل استمروا على توبتهم و إيمانهم.

(وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ)فيجازى كل عامل بعمله إن خيرا فخير و إن شرا فشر71

(لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ)يخبر تعالى عن كفر النصارى بقولهم:–(إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ) بشُبْهِةِ أنه خرج من أم بلا أب و خالف المعهود من الخلقة الإلهية و الحال أنه عليه الصلاة و السلام قد كذبهم في هذه الدعوى يَقُولُ تَعَالَى حَاكِمًا بِتَكْفِيرِ فِرَقِ النَّصَارَى مِنَ:-

1-الْمَلَكِيَّةِ 2-وَ الْيَعْقُوبِيَّةِ 3-وَ النُّسْطُورِيَّةِ

مِمَّنْ قَالَ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ وَ تَنَزَّهَ وَ تَقَدَّسَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

هَذَا وَقَدْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمُ الْمَسِيحُ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَ كَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ نَطَقَ بِهَا وَ هُوَ صَغِيرٌ فِي الْمَهْدِ أَنْ قَالَ:

{إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} وَ لَمْ يَقُلْ: أَنَا اللَّهُ وَ لَا ابْنُ اللَّهِ.بَلْ قَالَ:-

{إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} إِلَى أَنْ قَالَ:{وإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ35هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ36}مَرْيَمَ

وَكَذَلِكَ قَالَ لَهُمْ فِي حَالِ كُهُولَتِهِ وَ نُبُوَّتِهِ آمِرًا لَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ رَبِّهِ وَرَبِّهِمْ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛

(وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ)و قال لهم:–

(يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ)فأثبت لنفسه العبودية التامة و لربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق.

(إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ)أحدا من المخلوقين لا عيسى و لا غيره.

(فَقَدۡ حَرَّمَ)أوْجبَ(ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ)

و ذلك لأنه سوى الخلق بالخالق و صرف ما خلقه الله له — و هو العبادة الخالصة – لغير من هى له

فاستحق أن يخلد في النار.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}النِّسَاءِ

وَ قَالَ تَعَالَى:{وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ}[الْأَعْرَافِ:50] .

وَ فِي مسلم (111) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:-شَهِدْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْنًا(قال القاضى عياض رحمه الله صوابه خيبر)

فَقَالَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالْإِسْلَامِ:-

«هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ» فَلَمَّا حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ

فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ الرَّجُلُ الَّذِى قُلْتَ لَهُ آنِفًا:-«إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»(أى قلت فى شأنه و فى سببه قال الفراء و ابن الشجرى وغيرهما من أهل العربية اللام قد تأتي بمعنى في ومنه قول الله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة أي فيه وقوله آنفا أى قريبا)

فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَ قَدْ مَاتَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:-

«إِلَى النَّارِ» فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ: -

إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَ لَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ

فَأُخْبِرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ:-«اللهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَ رَسُولُهُ» ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَنَادَى فِي النَّاسِ:-

«أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَ أَنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»

(وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ)ينقذونهم من عذاب الله أو يدفعون عنهم بعض ما نزل بهم72

(لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ)

كقوله(وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ)المائدة: ١١٦

و هذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم زعموا أن الله ثالث ثـلاثة:—الله و عيسى و مريم

تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

و هذا أكبر دليل على قلة عقول النصارى كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء و العقيدة القبيحة؟!

كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين ؟! كيف خفى عليهم رب العالمين؟!

قال تعالى – رادا عليهم و على أشباههم:—(وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ)

متصف بكل صفة كمال منزه عن كل نقص منفرد بالخلق و التدبير ما بالخلق من نعمة إلا منه.

فكيف يُجْعَل معه إله غيره؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.ثم توعدهم بقوله:—

(وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) 73

ثم دعاهم إلى التوبة عما صدر منهم بعرض هو غاية اللطف و اللين فقال:-

(أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ)

يرجعون إلى ما يحبه و يرضاه من الإقرار لله بالتوحيد و بأن عيسى عبد الله و رسوله عما كانوا يقولونه

(وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ)عن ما صدر منهم

(وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

يغفر ذنوب التائبين و لو بلغت عنان السماء و يرحمهم بقبول توبتهم و تبديل سيئاتهم حسنات74

*ثم ذكر حقيقة المسيح و أُمِّه الذى هو الحق فقال:-

(مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ)

هذا غايته و منتهى أمره أنه من عباد الله المرسلين الذين ليس لهم من الأمر و لا من التشريع إلا ما أرسلهم به الله

(قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ)كمن تقدمه من الرسل

و هو من جنس الرسل قبله لا مزية له عليهم تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية.

(وَأُمُّهُۥ)مريم(صِدِّيقَةٌ)هذا أيضا غايتها أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء.

و الصديقية:-هى العلم النافع المثمر لليقين و العمل الصالح

و هذا دليل على أن مريم لم تكن نبية بل أعلى أحوالها الصديقية و كفى بذلك فضلا و شرفا.

و كذلك سائر النساء لم يكن منهن نبية لأن الله تعالى جعل النبوة فى أكمل الصنفين فى الرجال كما قال:-

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ)

فإذا كان عيسى ﷺمن جنس الأنبياء و الرسل من قبله و أمه صديقة فلأى شيء اتخذهما النصارى إلهين مع الله؟

(كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ)

دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران محتاجان كما يحتاج بنو آدم إلى الطعام و الشراب فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام و الشراب و لم يحتاجا إلى شيء فإن الإله هو الغنى الحميد.قال بن القيم:-

اعباد المسيح لنا سؤال ...نريد جوابه ممن وعاه
اذا مات الاله بصنع قوم ..اماتوه فما هذا الاله
وهل ارضاه ما نالوه منه.. فبشراهم اذا نالوا رضاه
و ان سخط الذى فعلوه فيه.. فقوتهم اذا اوهت قواه

و هل بقى الوجود بلا اله ..سميع يستجيب لمن دعاه
و هل خلت الطباق السبع لما ثوى ..تحت التراب وقد علاه
و هل خلت العوالم من اله ..يدبرها وقد سمرت يداه
و كيف تخلت الاملاك عنه.. بنصرهم وقد سمعوا بكاه
و كيف اطاقت الخشبات ..حمل الاله الحق شد على قفاه
و كيف دنا الحديد اليه ...حتى يخالطه ويلحقه اذاه
وكيف تمكنت ايدى عداه... وطالت حيث قد صفعوا قفاه
و هل عاد المسيح الى حياة... ام المحى له رب سواه
و يا عجبا لقبر ضم ربا واعجب منه بطنا قد حواه
اقام هناك تسعا من شهور... لدى الظلمات من حيض غذاه
و شق الفرج مولودا صغيرا... ضعيفا فاتحا للثدى فاه
و يأكل ثم يشرب ثم ياتى... بلازم ذاك فهل هذا اله
تعالى الله عن افك النصارى... سيسال كلهم عما افتراه
اعباد الصليب لاى معنى... يعظم او يقبح من رماه
و هل تقضى العقول بغير... كسر و احراق له ولمن بغاه
اذا ركب الاله عليه كرها ...و قد شدت لتسمير يداه
فذاك المركب الملعون حقا... فدسه لا تبسه اذ تراه
يهان عليه رب الخلق طرا ....وتعبده فانك من عداه
فان عظمته من اجل ان قد حوى.. رب العباد و قد علاه
و قد فقد الصليب فان راينا ..له شكلا تذكرنا سناه
فهلا للقبور سجدت ترى ..لضم القبر ربك فى حشاه
فيا عبد المسيح افق فهذا.. بدايته و هذا منتهاه

*و لما بين تعالى البرهان قال:-(ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ)الموضحة للحق الكاشفة لليقين و مع هذا لا تفيد فيهم شيئا بل لا يزالون على إفكهم و كذبهم و افترائهم و ذلك ظلم و عناد منهم.

(ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ)كيف(يُؤۡفَكُونَ)يُصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟75

(قُلۡ)لهم أيها الرسول:–(أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) من المخلوقين الفقراء المحتاجين

(مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ)و تدعون من انفرد بالضر و النفع و العطاء و المنع

(وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ)لجميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات.

(ٱلۡعَلِيمُ)بالظواهر و البواطن و الغيب و الشهادة و الأمور الماضية و المستقبلة

فالكامل تعالى الذى هذه أوصافه هو الذى يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة و يُخْلَصُ له الدين٧٦

....

قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾

(قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ)لا تتجاوزوا و تتعدوا الحق إلى الباطل

و ذلك كقولهم في المسيح ما تقدم حكايته عنهم. و كغلوهم في بعض المشايخ اتباعا لـ

(وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ)تقدم ضلالهم

نهى أهل الكتاب عن الغلو فى الدين و بيان مقدار عداوتهم77-86

(وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا)من الناس بدعوتهم إياهم إلى الدين الذى هم عليه.

(وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ)قصد(ٱلسَّبِيلِ)الطريق فجمعوا بين الضلال و الإضلال

و هؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر الله عنهم و عن اتباع أهوائهم المردية و آرائهم المضلة77

(لُعِنَ)طُرِدُوا و أبعدوا عن رحمة الله (ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ)

(عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ)بشهادتهما و إقرارهما بأن الحجة قد قامت عليهم و عاندوها.

(ذَٰلِكَ)الكفر و اللعن(بِمَا عَصَواْ)بعصيانهم لله(وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ)و ظلمهم لعباد الله

صار سببا لكفرهم و بعدهم عن رحمة الله فإن للذنوب و الظلم عقوبات78

و من معاصيهم التى أحلت بهم المثلات(عقوبات المكذبين مِن قبلهم)و أوقعت بهم العقوبات أنهم:-

(كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ)كانوا يفعلون المنكر و لا ينهى بعضهم بعضا

فيشترك بذلك المباشر و غيره الذى سكت عن النهى عن المنكر مع قدرته على ذلك.

و ذلك يدل على تهاونهم بأمر الله و أن معصيته خفيفة عليهم

فلو كان لديهم تعظيم لربهم :-1-لغاروا لمحارمه 2-و لغضبوا لغضبه

و إنما كان السكوت عن المنكر – مع القدرة– موجبا للعقوبة لما فيه من المفاسد العظيمة:-

1-أن مجرد السكوت فعل معصية و إن لم يباشرها الساكت.

فإنه–كما يجب اجتناب المعصية– فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية.

2-ما تقدم أنه يدل على التهاون بالمعاصي و قلة الاكتراث بها.

3-أن ذلك يجرئ العصاة و الفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها فـ:-

أ–يزداد الشر ب–و تعظم المصيبة الدينية و الدنيوية و يكون لهم الشوكة و الظهور

*ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر حتى لا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أوّلا.

4-أن–فى ترك الإنكار للمنكر–يندرس العلم و يكثر الجهل

فإن المعصية–مع تكررها و صدورها من كثير من الأشخاص و عدم إنكار أهل الدين و العلم لها–

يظن أنها ليست بمعصية و ربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة

و أى مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرَّم الله حلالا؟ و انقلاب الحقائق على النفوس و رؤية الباطل حقا؟

5-أن السكوت على معصية العاصين ربما تزينت المعصية فى صدور الناس و اقتدى بعضهم ببعض

فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه و بنى جنسه

*فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم

و اعتدائهم و خص من ذلك هذا المنكر العظيم.

(لَبِئۡسَ)ساء(مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ)

*مسلم (49) عن أَبي سَعِيدٍ رضي الله عنه:-قال رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:-

«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَ ذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ».

*أبي داود 4344 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:-

«أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ»79

(تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ)بالمحبة و الموالاة و النصرة.

هذه البضاعةَ الكاسدة و الصفقةَ الخاسرة (لَبِئۡسَ)ساء(مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ)

سخط الله الذى يسخط لسخطه كل شيء

(وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ)و الخلود الدائم فى العذاب العظيم

فقد ظلمتهم أنفسهم حيث قدمت لهم هذا النُزل غير الكريم و قد ظلموا أنفسهم إذ فوتوها النعيم المقيم80

(وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ)

فإن الإيمان بالله و بالنبى و ما أنزل إليه يوجب على العبد:-

1-موالاة ربه 2-و موالاة أوليائه 3-و معاداة من كفر به و عاداه و أوضع فى معاصيه

فشرط ولايةِ الله و الإيمانِ به:-

أن لا يتخذ أعداء الله أولياء و هؤلاء لم يوجد منهم الشرط فدل على انتفاء المشروط.

(وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ)خارجون عن طاعة الله و الإيمان به و بالنبى و من فسقهم موالاةُ أعداء الله81

الجزء السابع

يقول تعالى فى بيان أقرب الطائفتين إلى المسلمين و إلى ولايتهم و محبتهم و أبعدهم من ذلك:-

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ)

فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق أعظم الناس معاداة للإسلام و المسلمين و أكثرهم سعيًا فى إيصال الضرر إليهم و ذلك لشدة بغضهم لهم بغيا و حسدا و عنادا و كفرا

*مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ:-1-كُفْر الْيَهُودِ عِنَادٌ وَ جُحُودٌ وَ مُبَاهَتَةٌ لِلْحَقِّ 2-و غَمْط لِلنَّاسِ 3-و تَنَقص بِحَمَلَةِ الْعِلْمِ. وَ لِهَذَا قَتَلُوا كَثِيراً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

حَتَّى هَمُّوا بِـ:-1-قَتْـلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺغَيْرَ مَرَّةٍ 2-وَ سَحَـرُوهُ 3-و أَلَّبـوا عَلَيْهِ أَشْبَاهَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ -

(وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ)

و ذكر تعالى لذلك عدة أسبـاب:

1- أن (ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ) يُوجَدُ فِيهِمُ الْقِسِّيسُونَ :-
وَ هُمْ خُطَبَاؤُهُمْ وَ عُلَمَاؤُهُمْ وَاحِدُهُمْ:- قِسِّيسٌ و قَس أَيْضًا وَ قَدْ يُجْمَعُ عَلَى قُسُوسٍ-

(وَرُهْبَانًا)جَمْعُ رَاهِبٍ وَ هُوَ: الْعَابِدُ. مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّهْبَةِ وَ هِىَ الْخَوْفُ كَرَاكِبٍ وَ رُكْبَانٍ وَ فَارِسٍ وَ فُرْسَانٍ.

*أى: علماء متزهدين و عُبَّادًا في الصوامع متعبدين. و العلم مع الزهد و كذلك العبادة مما يلطف القلب و يرققه و يزيل عنه ما فيه من الجفاء و الغلظة فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهود و شدة المشركين.

2-(وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ)

أى: ليس فيهم تكبر و لا عتو عن الانقياد للحق و ذلك موجب لقربهم من المسلمين و من محبتهم

فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر. كقوله(وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً)الحديد: ٢٧ ﴿٨٢﴾